تحذير الصالحين من مجالسة

الأمراء والسلاطين

اسم الكتاب: تحذير الصالحين من مداخلة الأمراء والسلاطين

تأليف : أبي محمد طاهر بن محمد صريم السماوي

رقم الإيداع: ٢٠٢١/١٨٩٨٧

نوع الطباعة: ٢ لون

عدد الصفحات: ١٣٨صفحة

القياس: ١٧ x ٢٤

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. هاني صالح

٢٠٢٣

الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

تحذير الصالحين من مجالسة

الأمراء والسلاطين

تأليف

أبي محمد طاهر بن محمد حسين السماوي

غفر الله له

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أمـا بعـد:

فقد عظم الخطر وزاد على العباد جميعاً وكثرت الانحرافات في أوساط العباد إلا من رحمه الله تعالى وثبته وهذا مصداق الحديث النبوي ودليل من دلائل النبوة في تغير الحال للأمة في أخر الزمان ولا سيما إذا كان هذا التغير ممن وكل إليهم حفظ الدين والذب عن حياظ الشريعة أقصد بذلك حملة الدين والعلم من جميع الطوائف – أهل السُّنَّة وأهل البدع- فمن أعظم الفتن التي جلبت للعباد الفساد في الدنيا والعذاب يوم القيامة لهو الإبتداع في دين الله تعالى، ومخالفة الكتاب والسُّنَّة ما بين مستقل ومستكثر، وهذا والله هو البلاء العظيم ،والشر المستطير، نسأل الله تعالى العفو والعافية.

ومن أعظم الفتن أيضًا التي تسبب النقم من الله تعالى وتفسد حال الأمة الإسلامية لهو الركون إلى الدنيا والطمع فيها وبيع الدين بالدنيا كما قال بعضهم:

نبيع دنـيـانـا بتمزيق ديننا فـلا ديننا يبقى ولا مـا نرقع

فبئس البيع والشراء في الدين ويا رخص البيع وخسارة المبيع.

ومن أعظم ما أصاب أهل الدين وحملته لهو التقرب من أهل المناصب والكراسي والتجارة والثراء والترف فماعوا وضاعوا وباعوا دينهم بدنياهم وأصبحوا أداة في يد هؤلاء يحللون لهم ويحرمون لهم ويفتون لهم ويجاروهم فيما هم عليه من الباطل دون نصح وتوجيه وخوف من الله تعالى ومراعاة لمصالح الإسلام والمسلمين فقدموا أهوائهم وشهواتهم وجمعوا المال من حله وحرامه إلا من عصمه الله تعالى لا سيما في زمن الخداع والكذب والتملق وتقلب الوجوه نسأل الله العافية والسلامة.

فنقرأ في سير العلماء من السلف أن فلاناً عرض عليه الخليفة أو الأمير منصب القضاء فأبى وألح في الإباء، فلجّ الوالي في العرض فلجَّ العالم في الإباء حتى ينتهي به إلى غضب الخليفة، وما يتبع الغضب من آثار منها الضرب والحبس، أو ينتهي به الحال إلى الفرار والاختفاء، يأتي كل ذلك فراراً من فتن الولاية ولوازمها، كالتردد على أبواب السلاطين، وتعريض سلطان العلم لسلطان الحكم، وفراراً من المطاعم الخبيثة التي مهما تتسع لها دائرة الإباحة فإنها لا تطهرها من شوب الشبهات.

فهل من يدلنا اليوم على عالم تُعرض عليه ولاية القضاء أو ما دونها في المنزلة فيأباها تعففاً وتحوباً مسوقاً إلى ذلك بخوف الله وخشيته، أو بالترفع عن الشبهات؟ إني لا أكاد أراهم إلا أندر من الذهب الأحمر.

بل إنهم لا ينتظرون عرض الولاية عليهم، بل يخطبونها ويبذلون فيها الغالي من المهور، وهو الدين والشرف والكرامة، ويتوسلون إلى نيلها بالدنيء من الوسائل، كالتوجه بالكافر والفاجر، والتشفع بالمهين والعاهر، ودفع الرشاوي، وهي أشنع الجميع.

ونقرأ في سيرهم أيضًا أنهم كان حين يتولون الولاية يؤدونها كما أمر الله أن تؤدى ، ويوفون بعهد الله فيها من العدل والتحري في الحق ، وكانوا لا يقبلون الولاية إلا على اعتقاد أن قبولهم إياها واجب متعين شرعاً لإقامة القسط بين الناس ، وإنصاف الضعفاء من الأقوياء ، فهم دائماً في أداء واجب يؤجرون عليه لا في أداء وظيفة ينتفعون بها .

ولكن علماءُ الخلف فقدوا مكانتهم وشرفهم يوم أضاعوا الفضائل التي هي سلاح العالم الديني ، وأمهاتها الشجاعة والقناعة والعفة والصبر والصدق والإخلاص.

وإن تجردهم من هذه الفضائل ليرجع في مبدأ أمرهم إلى خدعة من أمراء السوء المتسلطين حينما ثقلت عليهم وطأة العلماء وقيامهم بالواجب الديني في الأمر والنهي ، وعلموا أن العامة تبع للعلماء ، وأن سلطان العلماء أقوى من سلطانهم ، وأن كلمة مؤثرة من عالم مخلص تقع في مستقر التصديق من العامة قد تأتي على سلطان الحاكم المتسلط ، فسولت لهم أنفسهم أن يحدوا من هذا التأثير الواسع القوي ، فأخذوا يُروِّضون علماءَ الدين على المهانة، وألصقوا بهم الحاجة إلى ما في أيديهم من متاع الدنيا ، ليجعلوا من ذلك مقادة يقودونهم بها إلى ما يهوون ، ثم ربوهم على الطمع والتطلع إلى الاستزادة ، ومد الأعين إلى زهرة الحياة الدنيا ، فزلُّوا ثم ضلُّوا ثم ذلُّوا .

وتعاقبت الأجيال وتقلبت الأحوال ، فإذا العالم تابع لا متبوع ، ومقود بشهواته لا قائد ، يراد على العظائم فيأتيها طائعاً ، يتحيل على دين الله إرضاءً للمخلوق ، ويحلل ما حرم الله من دماء وأموال وأعراض وأبشار، يشتري بذلك جاهاً زائلاً ، وحالاً فارهاً، ودراهم معدودة ولا حول ولاقوة إلا بالله.

فمن هذا الباب أحببت أن أجمع ما تيسر لي في هذا الباب وأن أدلي بالقليل بالنصح لعموم المسلمين لا سيما حملة الدين من أهل السُّنَّة الذين ما زالت صورتهم صافية ناصعة نقية بهية ممن لم يتلطخوا بأهل الأموال والثراء وشراء الذمم للدول والأحزاب والجماعات، ونسأل الله تعالى أن يعصمنا بدينة.

كتبه/

أبو محمد/ طاهر السماوي

وفقه اللّه

البيضاء-اليمن- ١١/ رمضان/١٤٤٠هـ

المبحث الأول

الملوك غالباً على غير هدى -إلا من رحم الله-

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وحاجّ: بمعنى خاصم، وهو نمروذ في قول الجماعة. قال ابن عباس: ملك الأرض شرقها وغربها مؤمنان، وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين. والكافران: نمروذ، وبختنصر. قال ابن قتيبة: معنى الآية: حاجَّ إبراهيم، لأن الله آتاه الملك، فأعجب بنفسه وملكه. «زاد المسير(١/ ٢٣٢)».

فبين الله تعالى حال النمرود وما كان عليه من التعاظم والتعالي والتيه والفساد في الأرض فقد ادعى الربوبية من دون الله تعالى فأرسل الله له من يذكره بالله تعالى وبنعمة الله تعالى عليه وهو نبيه إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

وقال تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص: ٨].

قال العلامة الشنقيطي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، أَيْ: مُرْتَكِبِينَ الْخَطِيئَةَ الَّتِي هِيَ

الذَّنْبُ الْعَظِيمُ.

وقال تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩].

قال العلامة القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [العنكبوت: ٣٩]، قَالَ الْكِسَائِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: إِنْ شِئْتَ كَانَ مَحْمُولًا عَلَى عَادٍ، وَكَانَ فِيهِ مَا فِيهِ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ عَلَى ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]. وَصَدَّ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ. وَقِيلَ: أَيْ وَأَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٣٩]. عَنِ الْحَقِّ وَعَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ. أَيْ فَائِتِينَ. وَقِيلَ: سَابِقِينَ فِي الْكُفْرِ بَلْ قَدْ سَبَقَهُمْ لِلْكُفْرِ قُرُونٌ كَثِيرَةٌ فَأَهْلَكْنَاهُمْ. «الجامع لأحكام القرآن(١٣/ ٣٤٤)».

قال الله -جَلَّ جَلَالُهُ-: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤].

وعن كعب بن عُجرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال لي رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أُعيذك بالله يا كعبَ بن عُجْرَةَ من أُمراءَ يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابَهم فصدَّقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منِّي ولستُ منه، ولا يردُ عليَّ الحوض، ومن غَشِيَ أبوابهم أو لم يغشَ فلم يصدقهم في كذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم فهوَ منِّي وأنا منه، وسَيَرِدُ عليَّ الحوض، يا كعبَ بنَ عُجرةَ: الصلاةُ برهانٌ، والصومُ جنّةٌ حصينةٌ، والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، إنه لا يدخل الجنة لحمٌ نَبَتَ من سُحْت، النارُ أولى به، يا كعبَ بنَ عُجرةَ، الناسُ غاديان: فمبتاعٌ نَفْسَه فمُعْتقها، وبائعٌ نَفْسَه فمُوبِقُها». «الترمذي(٦١٤) وصححه العلامة الألباني».

والحديث فيه: التحذير من إمرة السفهاء، والتحذير من تصديقهم، وإعانتهم على ظلمهم.

ورحم الله عبد الله بن المبارك وهو يقول:

رأيتُ الذنوب تميت القلوبَ ويورث الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسك عصيانُها
وهل أفسد الدينَ إلا الملوكَ وأحبارُ سوء ورهبانُها

ففساد الدين بفساد هذه الطوائف الثلاثة: حكام ظلمة، وعلماء سوء فجرة، وعباد مبتدعة جهلة، وصلاح الدين والدنيا بصلاحهم.

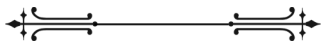

المبحث الثاني

الملوك من الأنبياء

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل: ١٥ - ١٦]، ثم ذكر الله قصة الجميلة الماتعة مع النمل والهدهد وملكة سبأ.

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةٌ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَجَاءَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: **بِسْمِ اللَّهِ. فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ. ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ الثُّلُثَ الْآخَرَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ. ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ؛ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السَّاعَةَ**» «سُنن النسائي (٣١٧٦) صحيح».

المبحث الثالث

بطانة الملوك

قال الله تعالى حكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ ﴾[طه: ٢٩ - ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾[آل عمران: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨].

عَنْ أَبي سَعيد- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُول اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ». «البخاري(٦٦١١)».

عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ :قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ** ». «أبو داود (٢٩٣٢) وصححه العلامة الألباني وهو في الصحيحة(٤٨٩)».

وعنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلاَ خَلِيفَةً إِلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لاَ تَأْلُوهُ خَبَالاً ، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ** ». «الصحيحة(١٥٥٨)».

المبحث الرابع

حكم العمل مع السلاطين

أبو ذرٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –، مع كلِّ ما أوتيَ من علم وإخلاص، ومشاركةٍ في الدعوة والجهاد، وصبرٍ ومصابرةٍ على الجهر بالحقِّ والنهي عن المنكر، وصفَهُ رسولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأنه «ضعيف»، ونصحَهُ بأنْ لا يتولَّى أمورَ الناس، ولا حتى أموالَ اليتامى! «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**». « مسلم(١٨٢٦)».

والمقصودُ بالضعفِ هو عدمُ قدرةِ الشخصِ على تحمُّلِ مسؤوليةِ المنصبِ؛ وهذا قد يكون عقليًّا أو نفسيًّا؛ فليسَ لديه إمكانيةٌ على استيعابِ الأمورِ والفصلِ بينها، أو لا خبرةَ له فيها، أو لا يتواصَلُ مع المجتمعِ ومشكلاته، أو لا يتحمَّلُ أن يرَى مظاهرَ الفتنِ والدماء، ولا يعرفُ سياسةً مدَنيَّةً أو عسكرية، إلى غير ذلك من الوجوه.

وهذا مشاهَدٌ في حياتنا الواقعيةِ وعلى مدَى التاريخ، فهناك من يضيقُ بحملِ مسؤوليةِ أسرةٍ واحدة، أو يضيقُ ذرعًا بمراجعةِ الناسِ في فرعٍ من مؤسسة، وغيرهُ يتحمَّلُ مسؤوليةَ قبيلةٍ كبيرة، أو مدينةٍ أو دولة، ويفتحُ ذراعيهِ للاجتماعِ بفئاتِ الناسِ المختلفة، ويحلُّ مشكلاتهم..

وقد فسَّرَ القرطبيُّ ضعفَ أبي ذرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بسببِ نهجهِ الشخصيِّ في الحياة، وعدمِ قدرتهِ على مراعاةِ مصالحِ الناس، فقا – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى –: «أراكَ ضعيفًا»: أيَ ضعيفًا عن القيامِ بما يتعيَّنُ على الأميرِ من مراعاةِ مصالحِ رعيَّتِهِ

الدنيويةِ والدينية.

ووجهُ ضعفهِ عن ذلك أن الغالبَ عليه كان الزهدَ واحتقارَ الدنيا، ومَن هذا حالهُ لا يعتني بمصالحِ الدنيا ولا أموالها، اللذين بمراعاتهما تنتظمُ مصالحُ الدين، ويتمُّ أمره.

وقد كان أبو ذرٍّ أفرطَ في الزهدِ في الدنيا، حتى انتهَى به الحالُ إلى أن يُفتيَ بتحريم الجمع للمالِ وإن أُخرجتْ زكاته، وكان يرى أنه الكنزُ الذي توعَّدَ الله عليه فيَ القرآن، فلمَّا علمَ النبيُّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- منه هذه الحالة، نصحهُ ونهاهُ عن الإمارة، وعن ولايةِ مالِ الأيتام، وأكدَ النصيحةَ بقوله: «وإني أحبُّ لكَ ما أحبُّ لنفسي». «أورده السيوطي في شرحه على سُنن النسائي (٦/ ٢٥٥)».

ومحبةُ الجاه، والسيادة، والذكرِ - محفورةٌ في قلوب البشر، وبها يتنافسون فيما بينهم، ولكن المؤمن يجاهد نفسه في ردها عن غيِّها، ويجتهد في الإخلاص لله تعالى في كل أحواله، لا يحسد أحدًا على منصب أو مال حباه الله تعالى إياه وهو يرى نفسه أولى به منه؛ فإن ذلك رزق الله تعالى يهبه مَن يشاء مِن عباده، ويمنعه من شاء، ورزق الله تعالى لا يخضع لمقاييس البشر وحساباتهم، فقد يرفع الوضيع، ويضع الرفيع، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

وقال النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: «إنَّ الله هو المُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّازِقُ» «أبو داود (١٢١٤) قال العلامة الألباني: صحيح».

ومن أُعطي غنى القلب، والرضا عن الله تعالى في كل شيء، فقد نال أعظم شيء يناله بشرٌ، وإنه لَينعمُ بالراحة والسعادة، ولو كان أفقرَ الناس وأحقرهم،

وليس في الدنيا نعيمٌ يشبه نعيم الآخرة إلا نعيمَ الإيمان، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: والرضا عن الله تعالى من تمام الإيمان.

ومن أعطاه الله تعالى ولاية صغيرة أو كبيرة، فلا يغتر بذلك، ولا يظن أنه دليل على رضا الله تعالى عنه؛ فإنه قد ابتُلي بالولاية ابتلاء عظيمًا، وفُتن بها فتنة كبيرة، ولا سيما في زمن قد ضُيِّعت فيه كثير من الأمانات، وعلى حجم ولايته يكون حسابه يوم القيامة، فليتَّقِ الله تعالى وليؤدِّ ما حُمِّل من أمانة، وليكن للناس خادمًا، يتلمس حاجاتهم، ويقضي شؤونَهم، ويقيم العدلَ فيهم، ويرفع الظلمَ عنهم، ولا يجعل ولايَته سبيلاً لنيل شهواته وعلوِّه على الناس؛ فإن الولاية تكليف قبل أن تكون تشريفًا .

قال النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: : « **إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ على الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يومَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ**» «سُنن النَسائي(٤٢١١) قال العلامة الألباني: صحيح».

قال العلماء: «**نِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ**» أي: في الدنيا، «**وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ**» أي: بعد الموت؛ لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي يُفطَم قبل أن يستغني، فيكون في ذلك هلاكه».

ومَن وجد من نفسه ضعفًا في الولاية، وعجزًا عن أداء أمانتها، فالسلامة منها خير له، كما جاء في حديث أبي ذَرٍّ – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– قال: «قلت: يا رَسُولَ الله، ألا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قال: فَضَرَبَ بيده على مَنْكِبي»، ثُمَّ قال: «**يا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يوم القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلا مَن أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فيها**». «مسلم(١٨٢٥)».

قال النووي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

«هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية، ولا سيما لمن كان فيه ضعف، وهو في حق مَن دخل فيها بغير أهلية ولم يَعدِل؛ فإنه يندم على ما فرط منها إذا جُوزِي بالخزي يوم القيامة، وأما مَن كان أهلاً وعَدَلَ فيها، فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم؛ ولذلك امتنع الأكابر منها، والله أعلم» اهـ «شرح مسلم (١٢/ ٢١٠)».

ومَن علم ما في الولاية من عظيم الأمانة، وشدةِ الحساب يوم القيامة، مع قوة إيمانه، خافها أشد الخوف، وحاسب نفسه فيها أشد من محاسبته لنفسه في غيرها.

وعن أبي هريرة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – أن النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «**لَيُوشِكَنَّ رَجُلٌ يَتَمَنَّى أنه خَرَّ مِن عِندِ الثُّرَيَّا، وأنه لم يَنَلْ من أَمْرِ الناسِ شَيْئًا**» «رواه أحمد (١٠٩٢٧)».

وعن أبي أُمَامَة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – عَن النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قال: « **ما من رَجُل يلي أَمْرَ عَشَرَةٍ فما فَوْقَ ذلك، إلاَ أتى الله** – عَزَّوَجَلَّ – **مَغْلُولاً يومَ القِيَامَةِ يَدُهُ إلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ، أو أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ**» . «أحمد(٢٢٣٠٠)».

المبحث الخامس

تحذير النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأهل العلم من الدخول على الملوك

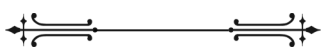

عَن ابْن عَبَّاس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السَّلاَطِينِ افْتُتِنَ** ». «رواه أبو داوود(٢٨٥٩)، والترمذي(٢٢٥٦) وحسنه الألباني» .

لأنه وإن وافقه في مرامه فقد خاطر بدينه، وإن خالفه فقد خاطر بروحه، ولأنه يرى سعة الدنيا فيحتقر نعمة الله عليه، وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم في الدنيا والعقوبة في العقبى. «قاله المناوي في فيض القدير(٦/ ١٥٣)».

وعن أبي هريرة، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**مَنْ بَدَا فَقَدْ جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السَّلاَطِينِ افْتُتِنَ وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلاَّ ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا**». «رواه البيهقي(١٠/ ١٠١) بسند صحيح».

وعن كعب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ** ». «الترمذي(٢٣٦٠) بسند صحيح».

وعن رجل من بني سليم، قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِيَّاكُمْ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ». «كما في مجمع الزوائد(٥/ ٢٤٦) السلسلة الصحيحة(١٢٥٣)».

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: إن على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل، لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله. «جامع بيان العلم وفضله(ص٢٦٠)».

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: من أراد أن يكرم دينه، فلا يدخل على السلطان، ولا يخلون بالنسوان ولا يخاصمن أصحاب الأهواء. «الدارمي (١/ ٩٠)».

وعن سلمة بن نبيط قال: قلت لأُبي - وكان قد شهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورآه وسمع منه - يا أبت لو أتيت هذا السلطان فأصبت منهم وأصاب قومك في جناحك؟ قال: أي بني إني أخاف أن أجلس منهم مجلساً يدخلني النار. «أخرجه ابن سعد(٦/ ٣٠)».

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: من طلب العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء. «الدارمي(١/ ١٠٣)».

قال أبو قلابة: أحفظ عنى ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية. «جامع بيان العلم وفضله(ص٢٥٧)».

عن يونس بن عبيد قال: لا تجالس صاحب بدعة، ولا صاحب سلطان، ولا تخلون بامرأة. «السير(٦/ ٢٩٣)».

قال البَيْهقي «الآداب الشرعية(٣/ ٤٨٤)»: أنشدنا الأستاذ أبو القاسم

الحسن بن محمَّد بن حبيب – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: – في «تفسيره». قال أنشدني أبي:

إن الملوك بـلاءٌ حيثما حلّوا فلا يَكُنْ لك في أكْنافِهم ظلُّ
ماذا تُؤمِّل من قوم إذا غضبوا جاروا عليك وإن أرضيتهم مَلُّوا
فإن مدحتهم خالوك تخدعهم واستثقلوك كما يستثقل الكلُّ
فاسْتَغْنِ بالله عن أبوابهم أبداً إن الوقوفَ على أبوابهم ذلُّ
كل التراب ولا تعمل لهم عملاً فالسّر أجمعه في ذلـك العمل

روى الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – عن المُعَافَى قال: سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُوْلُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ للهِ فِي العَبْدِ حَاجَةٌ، نَبَذَهُ إِلَى السُّلْطَانِ. «السير(٩/ ٨٢)».

وعَنْ مَيْمُوْنِ بن مِهْرَانَ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: قَالَ: ثَلاَثٌ لاَ تَبْلُوَنَّ نَفْسَكَ بهِنَّ: لاَ تَدْخُلْ عَلَى السُّلْطَانِ، وَإِن قُلْتَ: آمُرُهُ بطَاعَةِ الله، وَلاَ تُصْغِيَنَّ بسَمْعِكَ إِلَى هَوَىً، فَإِنَّك لاَ تَدْرِي مَا يَعْلَقُ بقَلْبِكَ مِنْهُ، وَلاَ تَدْخُلْ عَلَى امْرَأَةٍ، وَلَوْ قُلْتَ: أُعَلِّمُهَا كِتَابَ اللهِ. «السير(٥/ ٧٧)، حلية الأولياء(٤/ ٨٤)».

وعن الأصمعي قال: مر الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم، ثم قال: ما لكم جلوسا قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم! أما والله! لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم فضحتم القراء فضحكم الله. «المجالسة وجواهر العلم(٢/ ٣٠٤)، حلية الأولياء(٢/ ١٥٠)، تاريخ دمشق(٤٥/ ٣٧٧)».

قال عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيُّ لِنَفْسِهِ:

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ ... وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا ... بَدَا طَمِعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمَا
إِذَا قِيلَ هَذَا مَنْهَلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى ... وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي ... لِأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً ... إِذَنْ فَاتِّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

«الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٧١)».

قال الأوزاعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وغيره: عن مكحول: لان أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن ألي القضاء، ولأن ألي القضاء أحب إلي من أن ألي بيت المال. «السير(٥/ ١٦١)».

وذكر ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٩٠)» قال: قيل لأبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب: توحشت من الناس جداً فلو تركت لزوم البيت بعض الترك وبرزت للناس كانوا ينتفعون بك وينفعك الله بهم؟ فمكث ساعة ثم أنشأ يقول:

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا ... واستخفوا كبراً بحق الجليس

أو صحبنا التجار صرنا إلى البؤس وصرنا إلى عداد الفلوس

فلزمنا البيوت نستخرج العلم ونملا به بطون الطروس

قال محمد بن روح العنبري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: من خدم الملوك بلا عقل، ساقه الجهل إلى القتل.«معجم ابن المقرئ(١٠٥١)»

وعن محمد بن داود القنطري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: قال: وقف بنا أبو عبد الرحمن المقرئ بمكة على شيخ فقال: حدثهم ذلك الحديث. فحدثنا حديثا أسنده قال: « احذروا طعام الملوك ، فإن لطعامهم فتنة كفتنة طعام الدجال ، من أكله نكس قلبه »«الجوع لابن أبي الدنيا(٢٣٨)»

أخرج الإمام أبو بكر الآجري بسنده إلى وهب بن منبّه أنه قال لعطاء الخراساني:

«كان العلماءُ قبلَنا استغنَوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم، فكان أهلُ الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبةً في علمهم ، فأصبحَ أهلُ العلم مِنَّا اليومَ يبذلونَ لأهل الدنيا علمَهم رغبةً في دنياهم، فأصبحَ أهلُ الدنيا قد زهدوا في علمهم، لما رأوا من سوءِ موضعِه عندهم فإياك وأبوابَ السلاطين، فإنَّ عندَ أبوابهم فتناً كمبارك الإبل، لا تصيبُ من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله»

قال الإمام أبو بكر الآجري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: معلّقاً على هذا الكلام:

فإذا كان يخاف على العلماء في ذلك الزمان أن تفتنَهم الدنيا، فما ظنُّك في زمننا هذا؟ الله المستعان، ما أعظمَ ما قد حلَّ بالعلماء من الفتن، وهم عنه في غفلة.«ينظر: أخلاق العلماء (ص١١٢، ١١٣)» .

المبحث السادس

لا يدخل على الملوك إلا مفتون

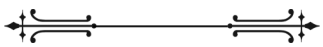

قال ابن عبد الهادي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

وقد طُلِب بعضُ السلف للقضاء، فخرج مجنوناً حتى تُرك، فلامه بعض إخوانه على ذلك، فقال له: هذا عقلك يا فلان.

وقد صار في زماننا جَهَلَةٌ فسقةٌ كذبةٌ خونةٌ، لهم رغبة في القضاء، يطلبونه، ويأخذون أموالَ الفقراء والمساكين وطلبةِ العلم، وقد عطّلوا المساجدَ والمدارس، وخرّبوها، وأعْرَوها من حُصُر وبُسُط، ومنعوا طلبةَ العلم من العلم، بأخذِ أوقافِهم، والبرطيلِ بها، فصدّوا عن العلم، وعن الخير.

وقد ورد في أخبار محمد بن جرير الطبريِّ: أن يهودياً صرف عليه وعلى جماعته المالَ الجزيلَ أربعين مرةً، كلَّما فَنِيَ شيء وأرادوا الذهابَ اعترضهم وأعطاهم، وقال: أقيموا على ما أنتم عليه من الخير، وأنّه سُئل عن ذلك، فقال: إني رأيتُ فيما أنزل الله: أنّه ليس ثَمّ نفقةٌ أعظم أجراً من درهم صُرف على رجلٍ في طلب العلم.

فمثل يهوديٍّ يرغب في ذلك؟.

هؤلاء الجهلةُ الفسقةُ أخذوا أموالَ طلبة العلم، فهؤلاء وأمثالُهم داخلٌ في قوله – عَزَّوَجَلَّ –: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ١١٤].

حتى إن بعضهم يأخذ بجهله أموال الفقراء والمساكين وطلبة العلم، ويُبرطل الظلمَةَ بها، ويزيِّن له الشيطان أن يبرطل بها، ولا يطعمهم في الأخذ منه، حتى إن منهم من إذا رأى مَنْ هو قوي عليه، برطلَ بها على قتله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من الجهل والتعاسة. «إيضاح طرق الاستقامة(٢٥٧-٢٥٨)».

وقال ابن عبد الهادي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: «إيضاح طرق الاستقامة (٢٦٠)»:

قُضَاةُ زَمَانِنَا صَارُوا قِلاَعا ... لِكُلِّ مُحَارِبٍ فِيهَا مَرَامِي
لَهُمْ فِي الْعِلْمِ بَاعٌ مُسْتَطِيل ... وَلَيْسَ الْفِقْهَ بِلْ أَكْلَ الْحَرَام
طَوِيلِ الْكُمِّ ذِي وُسعٍ مَلِيحٍ ... لأَجْلِ الدَّكِّ عَنْ عَبْدِ الأَنَام
وَوَصْفُ الْكُلِّ أَجْمَعِهِمْ لُصُوص ... وَمَا فِيهِمْ يَسُودُ سِوَى الْحَرَام

وَقَالَ بَعْضُهُمْ «الآداب الشرعية(٣/ ٤٨٥)»:

قَالُوا تَقَرَّبْ مِنْ السُّلْطَانِ قُلْتُ لَهُمْ ... يُعِيذُنِي اللَّهُ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
إنْ قُلْتُ دُنْيَا فَلَا دُنْيَا لِمُمْتَحَنٍ ... أَوْ قُلْتُ دِينًا فَلَا دِينَ لِمَفْتُونِ

وَجَاءَ أَنَّ ابْنَ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: سُئِلَ: مَن النَّاسُ؟ فَقَالَ: الْعُلَمَاءُ. قِيْلَ: فَمَنِ الْمُلُوْكُ؟ قَالَ: الزُّهَّادُ. قِيْلَ: فَمَنِ الغَوْغَاءُ؟ قَالَ: خُزَيْمَةُ وَأَصْحَابُهُ -يَعْنِي: مِنْ أُمَرَاءِ الظَّلَمَةِ-. قِيْلَ: فَمَنِ السَّفِلَةُ؟ قَالَ: الَّذِيْنَ يَعِيْشُوْنَ بِدِيْنِهِم. «السير(٨/ ٣٩٩)».

فيُجامَل الحاكم ويوافقه جلساؤه ولا يخالفونه فهو معهم في ضيق وهم معه في مشقة عن الحارث بن مسكين ، أنه خرج مرة من الإسكندرية ، فنزل منزلا

، فقال : الحمد لله ، استرحنا من صحبة الملوك ، نمد أرجلنا إذا شئنا ، ونتكئ إذا شئنا ، ونعمل ما أردنا. «الزهد لابن أبي الدنيا(٣٤٦)».

قال العز بن عبد السلام – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

وقد رأينا من يصوم النهار ويقوم الليل وإذا لاح له مال محرم وثب عليه وإن أُفتى بتحريمه لم يلتفت على الفتوى وهم كثيرون في هذا الوقت. «الفتاوى(١٠٥)».

كأنه يحكي زمانه العجيب من العباد والعلماء المتمذهبة الذين أكبر همهم المال والدنيا فكيف لو رأى زماننا هذا إلا من رحم ربي – وهم قليلون مغمورون بين الناس من المخلصين – وقد عكف العباد والعلماء ممن ربما تراه يعظ الناس ويحذرهم من الدنيا ويرغبهم في الأخرة ووالله لهو أشدهم لهثاً على الدنيا والمال ولو كان من طريق هو يفتي أنه حرام ومع ذلك إذا لاح له نور القرب من المال تقرب إليه ولو باع دينه بذلك العرض المحرم ولكن هو مع ذلك أشد احتياطاً ومكراً في كيفية استخراج ذلك المال وبطرق إبليسية ينصب الشباك الملتوية ويستخدم الطرق القريبة والبعيدة حتى يوقع الضحية من حيث لا يعلم فكم رأينا وشاهدنا ولمسنا ممن يكون هذا حاله وعلامة ذلك صداقاته لأصحاب المال والترف واهتمامه بهم وكثرت الشكوى عن حاله وبيان عظيم بذله للإسلام ومعاناته في سبيل الدعوة إلى الله وصبره على القلة وهذا كله من باب المسألة. فاللهم رحماك بنا وعفوك عنا ونسألك طهارة الظاهر والباطن والتوفيق إلى كل خير.

المبحث السابع

حكم طلب الإمارة والقضاء

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ فِيهَا إِلَى نَفْسِكَ وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا** ». «مسلم (٤٦٩٢)».

فإن الذي يريد الإمارة لمصلحة نفسه سيخل بالمقصد الأساس من الإمارة من رعاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، بالإضافة لما في طلب الإمارة من تزكية للنفس، وقد قال تعالى -: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢].

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ، فَقَالَ: « **إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ** » . «مسلم(٤٦٩٤)».

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -:

قال العلماء والحكمة في أنه لا يولى من سأل الولاية أنه يوكل إليها ولا تكون معه إعانة كما صرح به في حديث عبد الرحمن بن سمرة السابق وإذا لم تكن معه إعانة لم يكن كفئا ولا يولى غير الكفء ولأن فيه تهمة للطالب والحريص والله أعلم.«شرح مسلم(٦/ ٤١٢)».

وقال الإمام اليماني محمد بن علي الشوكاني – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

فإنه يدل على عدم جواز توليه من أراد العمل أو حرص عليه وأما على عدم قبوله من غير سؤال ولا طلب ولا إرادة وهذا هو الذي كلامنا فيه ومثله في الصحيحين وغيرهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أنه –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ** » فإن هذا تنفير عن الحرص عليها.«السيل الجرار(٨١٦)».

فقد نص الحديث على منع تولية من طلب الإمارة أو حرص عليها؛ لأن السؤال والحرص غالباً ما يكون لمصلحة النفس واتباع هواها.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ–،قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟قَالَ: «**فَضَرَبَ بِيَدِه عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ،إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا** ». «مسلم(٤٦٩٦)».

قال الإمام النووي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله والحديث المذكور هنا عقب هذا أن المقسطين على منابر من نور وغير ذلك وإجماع المسلمين منعقد عليه ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذره –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– منها وكذا حذر العلماء وامتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا.«شرح مسلم(٦/ ٤١٤)».

قال الحافظ الكبير ابن حجر – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

ومعنى الحديث أن من طلب الإمارة فأعطيها تركت اعانته عليها من أجل حرصه ويستفاد منه أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه فيدخل في الامارة القضاء والحسبة ونحو ذلك ، وأن من حرص على ذلك لا يعان ، ويعارضه في الظاهر ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رفعه : من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار.«الضعيفة للألباني (١١٨٦)» . والجمع بينهما أنه لا يلزم من كونه لا يعان بسبب طلبه أن لا يحصل منه العدل إذا ولى أو يحمل الطلب هنا على القصد وهناك على التولية، وقد تقدم من حديث أبي موسى أنا لا نولي من حرص ولذلك عبر في مقابله بالإعانة فان من لم يكن له من الله عون على عمله لا يكون فيه كفاية لذلك العمل فلا ينبغي أن يجاب سؤاله ومن المعلوم أن كل ولاية لا تخلو من المشقة فمن لم يكن له من الله إعانة تورط فيما دخل فيه وخسر دنياه وعقباه،فمن كان ذا عقل لم يتعرض للطلب أصلا بل إذا كان كافيا وأعطيها من غير مسألة فقد وعده الصادق بالإعانة ولا يخفى ما في ذلك من الفضل. «الفتح(١٣/ ١٢٤)».

المبحث الثامن

حكم المال الذي يؤخذ من الملوك

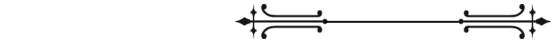

عن عَبْدَ الله بْنَ السَّعْدِيِّ -- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- فِي خِلاَفَتِه، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالاً، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ كَرِهْتَهَا؟ فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ عُمَرُ: مَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا، وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ. قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- لاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فَكَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ أَعْطِه أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالاً فَقُلْتُ: أَعْطِه أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِه، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ -وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ- فَخُذْهُ، وَإِلاَّ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**» «البخاري(١٤٧٣)، مسلم(١٠٤٥)».

وعن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِه أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالاً فَقُلْتُ: أَعْطِه مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصَدَّقْ بِه، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ -وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ- فَخُذْهُ، وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**». «البخاري(١٤٧٣)، مسلم(١٠٤٥)».

قال ابن الملقن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قام الإجماع على أن أرزاق الحكام من الفيء، وما جرى مجراه مما يصرف في مصالح المسلمين؛ لأن الحكم بينهم من أعظم مصالحهم. «شرح التوضيح(٣٢/ ٤٩٦)».

وقال ابن حجر – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

قال الطبري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: وفيه الدليل الواضح على أن من شغل بشيء من أعمال المسلمين أخذ الرزق على عمله ذلك؛ لاشتغالها بأمور المسلمين كالولاة والقضاة وجباة الفيء وعمال الصدقة وشبههم؛ لإعطاء رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لعمر أنعمًا له على عمله الذي استعمله عليه.«فتح الباري(١٣/ ١٥٤)».

وعن أبي الدرداء – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– قال: ما آتاك من هذا المال من غير إسراف ولا مسألة فكله وتموله. «موسوعة ابن أبي الدنيا(٢/ ٢٤٩)».

عن القعقاع بن حكيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – قال: بعث عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ–: أن ارفع إلي حاجتك، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إن رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: « إن اليد العليا خير من اليد السفلى « فلست أسألك شيئا، ولا أرد رزقا رزقنيه الله تعالى. «موسوعة ابن أبي الدنيا(٢/ ٢٤٠)».

وعن نافع – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – أن المختار بن أبي عبيد كان يرسل إلى عبد الله ابن عمر بالمال فيقبله، ويقول: لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا أرد ما رزقني الله تعالى. «موسوعة ابن أبي الدنيا(٢/ ٢٤١،٢٤٠)».

وقال يحيى بن معاذ الرازي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

كيف لا أحبّ دنيا قُدّر لي فيها قوتٌ، أكتسب بها حياةً، أُدركُ بها طاعةً أنالُ بها الآخرة. «جامع العلوم والحكم(٣٩٦)».

وسئل أبو صفوان الرعيني – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: وكان من العارفين: ما هي الدنيا التي ذمّها الله في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟ فقال: كلّ ما

أصبت في الدنيا تريد به الدنيا، فهو مذموم، وكلّ ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها. «جامع العلوم والحكم(٣٩٦)».

وقال الحسن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيّع لياليه، وكان زاده منها إلى النار. «جامع العلوم والحكم(٣٩٦)».

وقال سفيان بن عيينة - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه. «الحلية(٢/ ٤٢٧)».

قال الثوري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: أنظر درهمك من أين هو، وصلّ في الصف الأخير. «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار(٣/ ٤١٢)».

وقال الشافعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

إذا أخذ القاضي جعلاً لم يحرم عندي. واحتج أبو عبيد في جواز ذلك بما فرض الله تعالى للعاملين على الصدقة، وجعل لهم منها حقًّا لقيامهم وسعيهم فيها.

قال ابن المنذر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

وحديث ابن السعدي حجة في جواز إرزاق القضاة من وجوهها. قال المهلب: وإنما كره ذلك من كره؛ لأن أمر القضاء إنما هو محمول في الأصل على الاحتساب، ولذلك عظمت منازلهم وأجورهم في الآخرة، ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسائر الأنبياء عليهم السلام أن يقولوا: ما أسألكم عليه من أجر؛ ليكون ذلك على البراءة من الاتهام.«كما في شرح التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن الملقن(٣٢/ ٤٩٧)».

وقسم ابن التين – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – رزق القضاة فقال:

رزق القضاة من بيت المال،ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون لا شبهة فيما يدخلها، والأخذ منها جائز قطعًا لكل من ولي من أمور المسلمين شيئًا تعمهم نفقته.

ثانيها: أن يكون الغالب فيها من غير وجهه فلا خلاف أن الترك أولى، فإن أخذ، فإن كان فقيرًا أو مسكينًا جاز، أو غنيًّا فمكروه.

ثالثها: أن يكون غالبه ما يدخلها من وجهه، فأما الفقير فيجوز له الأخذ قطعًا.«المصدر السابق».

قال الشوكاني – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

فإن قلت: فما تقول فيما يأخذه القاضي ونحوه من الرزق الذي يعرضه له الإمام أو السلطان من بيت المال إذا كان بيت المال قد اختلط فيه المعروف بالإنكار، والحق بالباطل، والعدل بالجور؟.

قلت: إن كان يقنعك الجواب بما قاله أهل العلم المتكلمين على هذه المسألة ونحوها من المسائل فاعلم أن في كلامهم ما يغنيك عن هذا السؤال، لأن هذا المال غاية ما فيه أن بعضه مأخوذ على وجه العدل، وبعضه مأخوذ على وجه الجور، وما أخذ على وجه الجور إن كان متميزًا معلومًا وصاحبه معروفًا لا يلتبس بغيره كان على صاحب العمل القابض رزقه من ذلك أن يرده على صاحبه إن كان ما قبضه هو عين مظلمة ذلك الرجل؛ فالحلال بين والحرام بين، وإن كان ما يدفعه السلطان إليه قد اختلط على وجه لا يتميز، بل كان بعضه من أموال الله مأخوذ على وجه العدل، وبعضه مظلمة ملتبسة، فمصارف المظالم الملتبسة على كلامهم معروف، وهذا القاضي ونحوه منهم، وإن كان لا يقنعك

الجواب بما قاله أهل العلم، فاعلم أن ما يأخذه القاضي ونحوه هو عوض ما تركه من الاحتراف على نفسه، ومن يمول بالاحتراف على ما هو مصلحة عامة من مصالح المسلمين، فما دفعه إليه السلطان أخذه.

وقد صح عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما ثبت في الصحيح أنه قال: «ما جاءك من هذا المال - وأنت غير مستشرف، ولا سائل - فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك». فيأخذ ما دفع إليه إن كان لا يعلم فيه بشيء يحرم عليه، فإن علم فيه بشيء يحرم عليه وجب عليه أن يرده لصاحبه إن كان معينًا معلومًا، فإن كان ملتبسًا فالمفروض أن هذا المتولي للقضاء ونحوه مجتهد متمكن من النظر لنفسه فيما يعرض له من الأمور الخاصة من النظر فيما يعرض له من الأمور العامة، فعليه أن ينظر في هذا المال المتصف بتلك الصفة نظرًا يلقي به الجواب بين يدي الله - عَزَّوَجَلَّ - ويعمل على ذلك فيصرفه فيما يوجبه ذلك النظر ويقتضيه وجه الشرع، ومر الحق، ويعمل لنفسه كما يعمله بين الخصوم، فيجعل الخصومة بينه وبين نفسه، والحاكم كتاب الله - عَزَّوَجَلَّ - وسُنَّة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية، وحسبي الله ونعم الوكيل. «الفتح الرباني(٩/ ٤٤٥٧-٤٤٥٩)».

قال الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -:

قَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ: وَأَمَّا أَخْذُ الْأَرْزَاقِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الظَّلَمَةِ فَلِذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ: إِنْ كَانَ جَمِيعَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مَأْخُوذًا عَلَى مُوجَبِ الشَّرِيعَةِ فَجَائِزٌ أَخْذُهُ، وَقَدْ أَخَذَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ يَدِ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ. وَإِنْ كَانَ مُخْتَلِطًا حَلَالًا وَظُلْمًا كَمَا فِي أَيْدِي الْأُمَرَاءِ الْيَوْمَ فَالْوَرَعُ تَرْكُهُ، وَيَجُوزُ لِلْمُحْتَاجِ أَخْذُهُ، وَهُوَ كَلِصٍّ فِي يَدِهِ مَالٌ مَسْرُوقٌ، وَمَالٌ جَيِّدٌ حَلَالٌ وَقَدْ وَكَّلَهُ فِيهِ رَجُلٌ فَجَاءَ اللِّصُّ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى إِنْسَانٍ فَيَجُوزُ أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُ الصَّدَقَةُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

اللِّصُّ يَتَصَدَّقُ بِبَعْضِ مَا سَرَقَ، إذا لم يكن شيء مَعْرُوفٌ بنَهْب، وَكَذَلِكَ لَوْ بَاعَ أَوِ اشْتَرَى كَانَ الْعَقْدُ صَحِيحًا لَازِمًا- وَإِنْ كَانَ الْوَرَعُ التَّنَزُّهَ عَنْهُ- وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمْوَالَ لَا تُحَرَّمُ بِأَعْيَانِهَا وَإِنَّمَا تُحَرَّمُ لِجِهَاتِهَا. وَإِنْ كَانَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ظُلْمًا صُرَاحًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ. وَلَوْ كَانَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِ مَغْصُوبًا غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا مُطَالِبٌ، فَهُوَ كَمَا لَوْ وُجِدَ فِي أَيْدِي اللُّصُوصِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، وَيُجْعَلُ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَيُنْتَظَرُ طَالِبُهُ بِقَدْرِ الِاجْتِهَادِ، فَإِذَا لَمْ يُعْرَفْ صَرَفَهُ الْإِمَامُ فِي مصالح المسلمين. «الجامع لأحكام القرآن(٢/ ١١٠)».

وعن أبي عُمَرَ الْأَزْرَقُ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - مِنْ أَهْلِ أَرْمِينِيَّةَ وَهُوَ عَالِمُهُمْ - قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - يَقُولُ لِجَرِيرٍ: « مَا زِلْتُ أُحِبُّكَ مُنْذُ سَمِعْتُ ابْنَ شُبْرُمَةَ يَقُولُ لَكَ: قَدْ أَجْرَيْتُ عَلَيْكَ مِائَةً فِي كُلِّ شَهْرٍ، فَقُلْتَ: أَمِنْ مَالِكَ أَمْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقُلْتَ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا». «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٥٦)».

وعن بِشْرُ بْنُ مَطَرٍ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - يَقُولُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: أَعَلِمْتُمْ أَنِّي كُنْتُ قَدْ أُتِيتُ فَهْمَ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا قَبِلْتُ الصُّرَّةَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ سُلِبْتُهُ. «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٦٧)».

قلت: ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتابي حقوق الراعي والرعية باب من حق الراعي جعل رزقه من بيت المال.

المبحث التاسع

حكام آخر الزمان

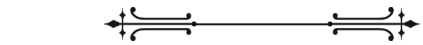

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ أَنْكَرَ - قَالَ سُلَيْمَانُ قَالَ هِشَامٌ - بِقَلْبِهِ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ لَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ** ». فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ :« **لاَ مَا صَلَّوْا** ». «مُسْلِمٌ(١٨٥٤)» .

وعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنَّهُ سَيَكُونُ أُمَرَاءَ ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلاَ يَرِدُ عَلَيَّ حَوْضِي ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ عَلَى كَذِبِهِمْ ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ ، وَيَرِدُ عَلَيَّ حَوْضِي**» .«سنن النسائي(٤٢٠٧) وصححه الألباني» .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : «سَيَكُونُ أُمَرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا فَاجْعَلُوا صَلاَتَكُمْ مَعَهُمْ تَطَوُّعًا » . «سُنن ابن ماجة(١٢٥٧) قال العلامة الألباني : صحيح» .

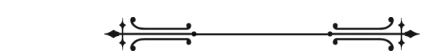

المبحث العاشر

أنواع الملوك

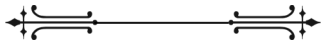

قال شيخ الإسلام – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – فَإِنَّ النَّاسَ أَرْبَعَةُ أَقْسَام :

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : يُرِيدُونَ الْعُلُوَّ عَلَى النَّاسِ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ مَعْصِيَةُ اللَّهِ وَهَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ وَالرُّؤَسَاءُ الْمُفْسِدُونَ كَفِرْعَوْنَ وَحِزْبِهِ . وَهَؤُلَاءِ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص: ٤] .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُود –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: « **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا وَنَعْلِي حَسَنًا . أَفَمِنْ الْكِبْرِ ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا ؛ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسَ** » فَبَطَرُ الْحَقِّ دَفْعُهُ وَجَحْدُهُ . وَغَمْطُ النَّاسِ احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ وَهَذَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَالْفَسَادَ » .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْفَسَادَ بِلَا عُلُوٍّ كَالسُّرَّاقِ وَالْمُجْرِمِينَ مِنْ سَفَلَةِ النَّاسِ .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : يُرِيدُونَ الْعُلُوَّ بِلَا فَسَادٍ كَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلُوا بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ النَّاسِ .

والْقِسْمُ الرَّابِعُ: فَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ يَكُونُونَ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥]. وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. فَكَمْ مِمَّنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا سُفُولًا وَكَمْ مِمَّنْ جُعِلَ مِنَ الْأَعْلَيْنَ وَهُوَ لَا يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَلَا الْفَسَادَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْعُلُوِّ عَلَى الْخَلْقِ ظُلْمٌ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فَإِرَادَةُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَعْلَى وَنَظِيرُهُ تَحْتَهُ ظُلْمٌ وَمَعَ أَنَّهُ ظُلْمٌ فَالنَّاسُ يُبْغِضُونَ مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ وَيُعَادُونَهُ؛ لِأَنَّ الْعَادِلَ مِنْهُمْ لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَقْهُورًا لِنَظِيرِهِ وَغَيْرُ الْعَادِلِ مِنْهُمْ يُؤْثِرُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْقَاهِرُ ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ هَذَا لَا بُدَّ لَهُ - فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ - مِنْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ كَمَا قَدَّمْنَاهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِرَأْسٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

فَجَاءَتْ الشَّرِيعَةُ بِصَرْفِ السُّلْطَانِ وَالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَإِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِالسُّلْطَانِ وَالْمَالِ هُوَ التَّقَرُّبَ إلَى اللَّهِ وَإِنْفَاقَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِهِ كَانَ ذَلِكَ صَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَإِنْ انْفَرَدَ السُّلْطَانُ عَنْ الدِّينِ أَوْ الدِّينُ عَنْ السُّلْطَانِ فَسَدَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ وَإِنَّمَا يَمْتَازُ أَهْلُ طَاعَةِ اللَّهِ عَنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ بِالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ

كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» .

وَلَمَّا غَلَبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ إرَادَةُ الْمَالِ وَالشَّرَفِ صَارُوا بِمَعْزِلٍ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ فِي وِلَايَتِهِمْ : رَأَى كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ أَنَّ الْإِمَارَةَ تُنَافِي الْإِيمَانَ وَكَمَالَ الدِّينِ . ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ غَلَّبَ الدِّينَ وَأَعْرَضَ عَمَّا لَا يَتِمُّ الدِّينُ إلَّا بِهِ مِنْ ذَلِكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى حَاجَتَهُ إلَى ذَلِكَ ؛ فَأَخَذَهُ مُعْرِضًا عَنْ الدِّينِ ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ مُنَافٍ لِذَلِكَ وَصَارَ الدِّينُ عِنْدَهُ فِي مَحَلِّ الرَّحْمَةِ وَالذُّلِّ . لَا فِي مَحَلِّ الْعُلُوِّ وَالْعِزِّ . وَكَذَلِكَ لَمَّا غَلَبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ الْعَجْزُ عَنْ تَكْمِيلِ الدِّينِ وَالْجَزَعِ لِمَا قَدْ يُصِيبُهُمْ فِي إقَامَتِهِ مِنْ الْبَلَاءِ : اسْتَضْعَفَ طَرِيقَتَهُمْ وَاسْتَذَلَّهَا مَنْ رَأَى أَنَّهُ لَا تَقُومُ مَصْلَحَتُهُ وَمَصْلَحَةُ غَيْرِهِ بِهَا . وَهَاتَانِ السَّبِيلَانِ الْفَاسِدَتَانِ - سَبِيلُ مَنْ انْتَسَبَ إلَى الَّذِينَ وَلَمْ يُكَمِّلْهُ بِمَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنْ السُّلْطَانِ وَالْجِهَادِ وَالْمَالِ وَسَبِيلُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى السُّلْطَانِ وَالْمَالِ وَالْحَرْبِ وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ إقَامَةَ الدِّينِ - هُمَا سَبِيلُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ . الْأُولَى لِلضَّالِّينَ النَّصَارَى وَالثَّانِيَةُ لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الْيَهُودُ . وَإِنَّمَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ هِيَ سَبِيلُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَبِيلُ خُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ . وَهُمْ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] . فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ وُسْعِهِ ؛ فَمَنْ وَلِيَ وِلَايَةً يَقْصِدُ بِهَا طَاعَةَ اللَّهِ وَإِقَامَةَ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ دِينِهِ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَأَقَامَ فِيهَا مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ : لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا يَعْجِزُ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ تَوْلِيَةَ الْأَبْرَارِ خَيْرٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ تَوْلِيَةِ الْفُجَّارِ .

وَمَنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ إقَامَةِ الدِّينِ بِالسُّلْطَانِ وَالْجِهَادِ فَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ النَّصِيحَةِ بِقَلْبِهِ وَالدُّعَاءِ لِلْأُمَّةِ وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ وَفَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ الْخَيْرِ: لَمْ يُكَلَّفْ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ قِوَامَ الدِّينِ بِالْكِتَابِ الْهَادِي وَالْحَدِيدِ النَّاصِرِ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى . فَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ الِاجْتِهَادُ فِي اتِّفَاقِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِطَلَبِ مَا عِنْدَهُ مُسْتَعِينًا بِاَللَّهِ فِي ذَلِكَ ؛ ثُمَّ الدُّنْيَا تَخْدِمُ الدِّينَ ، كَمَا قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يَا ابْنَ آدَمَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إلَى نَصِيبِك مِنْ الدُّنْيَا وَأَنْتَ إلَى نَصِيبِك مِنْ الْآخِرَةِ أَحْوَجُ فَإِنْ بَدَأْت بِنَصِيبِك مِنْ الْآخِرَةِ مُرْ بِنَصِيبِك مِنْ الدُّنْيَا فَانْتَظَمَهَا انْتِظَامًا وَإِنْ بَدَأْت بِنَصِيبِك مِنْ الدُّنْيَا فَاتَك نَصِيبُك مِنْ الْآخِرَةِ وَأَنْتَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ .

وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : « **مَنْ أَصْبَحَ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ؛ وَمَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إلَّا مَا كُتِبَ لَهُ** » .

وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَسَائِرَ إخْوَانِنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ لَنَا وَيَرْضَاهُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا إلَى يَوْمِ الدِّينِ. «المجموع (٢٨/ ٣٩٧)» .

قلت: ما أجمل وأحسن هذا الكلام من هذا العالم السلفي الهمام ف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد فصل وبين بهذا الكلام المدلل بالكتاب والسُّنَّة وفهم السلف حال الناس

فليتق الله الجميع في مثل هذه الوظائف المهمة التي بها حفظ الدين والدنيا لأهل الإسلام وصلاح البلاد والعباد وأمور الرعية ولينظر إلى أي حال هو من أي قسم من هؤلاء.

المبحث الحادي عشر

بعض النماذج من مواقف السلف مع الملوك

عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - :

عَنْ مَيْمُوْنِ بن مِهْرَانَ – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى –: قَالَ: دَسَّ مُعَاوِيَةُ عَمْراً وَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يَعلَمَ مَا فِي نَفْسِ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ تُبَايِعُكَ النَّاسُ، أَنْتَ صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَابْنُ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَأَنْتَ أَحقُّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ.

فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ كُلُّهُم عَلَى مَا تَقُوْلُ؟ ، قَالَ: نَعَمْ، إِلاَّ نَفرٌ يَسيرٌ.

قَالَ: لَوْ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ ثَلاَثَةُ أَعْلاَجٍ بِهَجَرٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِيْهَا حَاجَةٌ.

قَالَ: فَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ يُرِيْدُ القِتَالَ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تُبَايِعَ مَنْ قَدْ كَادَ النَّاسُ أَنْ يَجتمعُوا عَلَيْهِ وَيَكْتُبُ لَكَ مِنَ الأَرَضِينَ وَالأَمْوَالِ؟ فَقَالَ: أُفٍّ لَكَ! اخْرجْ مِنْ عِنْدِي، إِنَّ دِيْنِي لَيْسَ بِدِيْنَارِكُم وَلاَ دِرْهَمِكُم. «السير(٣/ ٢٢٨)» .

سعيد بن المسيب - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

عن ميمون بن مهران – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى –: أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان قدم المدينة، فبعث حاجبه إلى سعيد بن المسيب فقال له: أجب أمير المؤمنين! قال: وما حاجته؟ قال: لتتحدث معه. فقال: لست من حداثه. فرجع الحاجب إليه فأخبره، قال: دعه. «أخرجه ابن سعد(٥/ ١٣٠) في الطبقات الكبرى، وأبو نعيم(٢/ ١٦٩) في الحلية، وأورده الذهبي(٣٤/ ٢٢٦) في السير» .

عن ابْنُ وَهْب – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا، يُحَدِّثُ « أَنَّ عَامِلًا مِنَ الْعُمَّالِ بَعَثَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: بُعِثَ بِهَذَا إِلَيْكَ – أَصْلَحَكَ اللَّهُ – لِتَنْفِقَهَا وَتَجْعَلَهَا فِي حَاجَتِكَ، قَالَ: وَسَعِيدٌ جَادٌّ مُجِدٌّ يُحَاسِبُ غُلَامَهُ فِي نِصْفِ دِرْهَمٍ يَدَّعِيهِ قِبَلَهُ، وَالْغُلَامُ يَقُولُ: لَيْسَ لَكَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ سَعِيدٌ لِلرَّسُولِ: اذْهَبْ إِلَى عَمَلِكَ، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ أَيْضًا، فَقَالَ: اغْرُبْ عَنِّي، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْهُ، وَكَلَّمَهُ إِنْسَانٌ فِي تَرْكِهِ أَنْ يَأْخُذَهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُسَيِّبِ: هَذَا النِّصْفُ دِرْهَمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا «. «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٦١)» .

الأعمش سليمان بن مهران - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

عن عِيسَى بْنُ يُونُسَ– رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: قَالَ: مَا رَأَيْتُ الْأَغْنِيَاءَ وَالسَّلَاطِينَ عِنْدَ أَحَدٍ أَحْقَرَ مِنْهُمْ عِنْدَ الْأَعْمَشِ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ. «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٥٦)» .

عبد الله بن إدريس - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

عن مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْكِنْدِيُّ– رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – وَكَانَ جَارًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، قَالَ: « حَجَّ الرَّشِيدُ وَمَعَهُ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ، فَدَخَلَ الْكُوفَةَ فَقَالَ لِأَبِي يُوسُفَ: قُلْ لِلْمُحَدِّثِينَ يَأْتُونَا يُحَدِّثُونَا، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْ شُيُوخِ الْكُوفَةِ إِلَّا اثْنَانِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ فَرَكِبَ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ فَحَدَّثَهُمَا بِمِائَةِ حَدِيثٍ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَبْدِ اللَّهِ: يَا عَمِّ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعِيدَهَا عَلَيْكَ مِنْ حِفْظِي، قَالَ: افْعَلْ، فَأَعَادَهَا كَمَا سَمِعَهَا، وَكَانَ ابْنُ إِدْرِيسَ مِنْ أَهْلِ الْحِفْظِ يَقُولُ: لَوْلَا أَنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَفَلَّتَ مِنِّي الْقُرْآنُ مَا دَوَّنْتُ الْعِلْمَ، فَعَجِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ مِنْ حِفْظِ الْمَأْمُونِ وَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا عَمِّ، إِلَى جَانِبِ

مَسْجِدكَ دَارَان إِذَا أَذِنْتَ لَنَا اشْتَرَيْنَاهَا وَوَسَّعْنَا بِهَا الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: مَا بِي إِلَى هَذَا حَاجَةٌ، قَدْ أَجْزَأَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، وَهُوَ يُجْزِئُنِي فَيَنْظُرُ إِلَى قَرْحٍ فِي ذِرَاعِ الشَّيْخِ فَقَالَ: إِنَّ مَعَنَا مُتَطَبِّبِينَ وَأَدْوِيَةً، أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ يُجِيئَكَ مَنْ يُعَالِجُكَ؟ قَالَ: لَا، قَدْ ظَهَرَ بِي مِثْلَ هَذَا وَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَائِزَةً فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، وَصَارَا إِلَى عِيسَى بْنِ يُونُسَ فَحَدَّثَهُمَا، فَأَمَرَ لَهُ الْمَأْمُونُ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، فَظَنَّ أَنَّهُ اسْتَقَلَّهَا فَأَمَرَ لَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفًا، فَقَالَ عِيسَى: لَا وَلَا إِهْلِيلَجَةَ وَلَا شَرْبَةَ مَاءٍ عَلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَلَوْ مَلَأْتَ لِي هَذَا الْمَسْجِدَ ذَهَبًا إِلَى السَّقْفِ فَانْصَرَفَا مِنْ عِنْدِهِ «. «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٦٣)» .

طاووس بن كيسان - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

قَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ لِطَاوُوْس - رحمهم الله تعالى -:: ارْفَعْ حَاجَتَكَ إِلَى أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْن -يَعْنِي: سُلَيْمَانَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ-. قَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ .

فَكَأَنَّ عُمَرَ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ سُفْيَانُ: وَحَلَفَ لَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ مَيْسَرَةَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الكَعْبَةِ: وَرَبِّ هَذِهِ البَنِيَّةِ مَا رَأَيْتُ أَحَداً، الشَّرِيْفُ وَالوَضِيْعُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةٍ إِلاَّ طَاوُوْساً.

عَنِ ابْنِ طَاوُوْس، قَالَ:كُنْتُ لاَ أَزَالُ أَقُوْلُ لأَبِي: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْرَجَ عَلَى هَذَا السُّلْطَانِ، وَأَنْ يُفْعَلَ بِهِ.

قَالَ: فَخَرَجْنَا حُجَّاجاً، فَنَزَلْنَا فِي بَعْضِ القُرَى، وَفِيْهَا عَامِلٌ -يَعْنِي: لأَمِيْرِ اليَمَنِ- يُقَالُ لَهُ: ابْنُ نَجِيْح، وَكَانَ مِنْ أَخْبَثِ عُمَّالِهِم، فَشَهِدْنَا صَلاَةَ الصُّبْحِ فِي المَسْجِد، فَجَاءَ ابْنُ نَجِيْحٍ، فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ طَاوُوْس، فَسَلَّمَ عَلَيْه، فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ كَلَّمَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا بِهِ، قُمْتُ إِلَيْهِ، فَمَدَدْتُ بِيَدِهِ، وَجَعَلْتُ أُسَائِلُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمْ

يَعْرِفْكَ. فَقَالَ العَامِلُ: بَلَى، مَعْرِفَتُهُ بِي فَعَلَتْ مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَمَضَى وَهُوَ سَاكِتٌ لاَ يَقُوْلُ لِي شَيْئاً، فَلَمَّا دَخَلْتُ المَنْزِلَ، قَالَ: أَيْ لُكَعُ، بَيْنَمَا أَنْتَ زَعَمْتَ تُرِيْدُ أَنْ تَخْرُجَ عَلَيْهِمْ بِسَيْفِكَ، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْبِسَ عَنْهُ لِسَانَكَ.

مُحَمَّدُ بنُ المُثَنَّى العَنَزِيُّ: حَدَّثَنَا مُطَهِّرُ بنُ الهَيْثَمِ الطَّائِيُّ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ:

حَجَّ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ، فَخَرَجَ حَاجِبُهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ قَالَ: ابْغُوا إِلَيَّ فَقِيْهاً أَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ المَنَاسِكِ. قَالَ: فَمَرَّ طَاوُوْسٌ، فَقَالُوا: هَذَا طَاوُوْسٌ اليَمَانِيُّ.

فَأَخَذَهُ الحَاجِبُ، فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ.

قَالَ: أَعْفِنِي. فَأَبَى، ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ. قَالَ طَاوُوْسٌ: فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَمَجْلِسٌ يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ صَخْرَةً كَانَتْ عَلَى شَفِيْرِ جُبٍّ فِي جَهَنَّمَ، هَوَتْ فِيْهَا سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ قَرَارَهَا، أَتَدْرِي لِمَنْ أَعَدَّهَا اللهُ؟ .

قَالَ: لاَ، وَيْلَكَ لِمَنْ أَعَدَّهَا؟ .

قَالَ: لِمَنْ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي حُكْمِهِ، فَجَارَ. قَالَ: فَكَبَا بِهَا.

قَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيْلُ: زَعَمَ لِي سُفْيَانُ، قَالَ: جَاءَ ابْنٌ لِسُلَيْمَانَ بن عَبْدِ المَلِكِ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ طَاوُوْسٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَقِيْلَ لَهُ: جَلَسَ إِلَيْكَ ابْنُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ! .

قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ للهِ عُبَّاداً يَزْهَدُوْنَ فِيْمَا فِي يَدَيْهِ. «السير (٥/ ٤١-٤٢)»

عن النُّعْمَانَ بْنَ الزُّبَيْرِ- رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - يُحَدِّثُ: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ، وَأَيُّوبَ بْنَ يَحْيَى، بَعَثَا إِلَى طَاوُسٍ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالُوا لِلرَّسُولِ: إِنْ أَخَذَهَا مِنْكَ فَإِنَّ

الْأَمِيرَ سَيَكْسُوكَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى قَدِمَ عَلَى طَاوُسٍ الْجَنَدَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَفَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْكَ الأَمِيرُ، فَقَالَ: مَالِي بِهَا حَاجَةٌ، قَالَ: فَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا فَأَبَى، فَغَفَلَ طَاوُسٌ، فَرَمَى بِهَا فِي كَوَّةِ الْبَيْتِ ثُمَّ ذَهَبَ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ أَخَذَهَا، فَلَبِثُوا حِينًا ثُمَّ بَلَغَهُمْ عَنْ طَاوُسٍ شَيْءٌ كَرِهُوهُ، قَالَ: « ابْعَثُوا إِلَيْهِ فَلْيَبْعَثْ إِلَيْنَا بِمَالِنَا، فَجَاءَهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: الْمَالُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْكَ الأَمِيرُ، قَالَ: مَا قَبَضْتُ مِنْهُ شَيْئًا، فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُمْ فَعَرَفُوا أَنَّهُ صَادِقٌ، قِيلَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَهَبَ بِهَا فَابْعَثُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: الْمَالُ الَّذِي جِئْتُكَ بِهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: هَلْ قَبَضْتُ مِنْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَدْرِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فِي تِلْكَ الْكُوَّةِ، قَالَ: فَأَبْصِرْهُ حَيْثُ وَضَعْتَهُ، قَالَ: فَيَمُدُّ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ بِالصُّرَّةِ قَدْ بَنَتْ عَلَيْهَا الْعَنْكَبُوتُ، قَالَ: فَأَخَذَهَا، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِمْ «. «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٦٢)».

محمد بن رافع - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

عن زَكَرِيَّا بْنَ دَلُّوَيْهِ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: يَقُولُ: « بَعَثَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ عَلَى يَدَيْ رَسُولٍ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَهُوَ يَأْكُلُ الْخُبْزَ مَعَ الْفَجْلِ، فَوَضَعَ الْكِيسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: بَعَثَ الأَمِيرُ طَاهِرٌ هَذَا الْمَالَ إِلَيْكَ لِتُنْفِقَهُ عَلَى أَهْلِكَ، فَقَالَ: « خُذْ خُذْ لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَلَغَتْ رَأْسَ الْحِيطَانِ، إِنَّمَا تَغْرُبُ بَعْدَ سَاعَةٍ، فَقَدْ جَاوَزْتُ الثَّمَانِينَ إِلَى مَتَى أَعِيشُ؟ وَرَدَّ الْمَالَ وَلَمْ يَقْبَلْ، فَأَخَذَ الرَّسُولُ الْمَالَ وَذَهَبَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَهْ ، لَيْسَ لَنَا اللَّيْلَةَ خُبْزٌ، قَالَ: فَذَهَبَ بِبَعْضِ أَصْحَابِهِ خَلْفَ الرَّسُولِ لِيَرُدَّ الْمَالَ إِلَى حَضْرَةِ صَاحِبِهِ فَرَعًا مِنْ أَنْ يَذْهَبَ ابْنُهُ خَلْفَ الرَّسُولِ فَيَأْخُذَ الْمَالَ، قَالَ زَكَرِيَّا: وَرُبَّمَا كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ فِي الشِّتَاءِ الشَّاتِي وَقَدْ لَبِسَ لِحَافَهُ الَّذِي يَلْبَسُهُ بِاللَّيْلِ «. «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٦٨)».

الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

عن الفضل بن الربيع - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قال: بينا أنا ذاتَ ليلة في منزلي بمكة، إذ أتاني رجلٌ، فدَقّ بابيَ، فخرجت، فإذا أنا بهارون، فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أرسلتَ إليّ حتى آتيَك، قال: ويحك يا عباسي! إنه حاك في صدري شيء، فهل تعرف لي أحدًا من العلماء؟ فقلت: نعم، سُفيان بنُ عُيينة، قال: وهو شاهد؟ قلت: نعم، فانطلقنا إليه، فدققتُ عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجبْ أميرَ المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلتَ إليّ حتى آتيَكَ، قال: خذ لما جئناك له، فحدَّثه ساعة، ثم قال له: يا ابنَ عُيينة! أعليك دَيْن؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: يا عباسي! اقضِ دينه. فخرجنا من عنده، فقال لي: يا عباسي! ما أغنى عني صاحبُك شيئًا، فهل تعرف لي غيرَه؟ قلت: نعم، عبدُ الرزاق الصنعانيُّ، فدققتُ الباب، فقال لي: من هذا؟ فقلت: أجبْ أميرَ المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال مثلَ ما قال سفيانُ، فقال: خذ لما جئناك له، فحدَّثه ساعة، فقال: يا عبد الرزاق! أعليك دَيْن؟ قال: نعم، قال: يا عباسي! اقضِ دينه. قال: فخرجنا، فقال: يا عباسي! ما أغنى صاحباك شيئًا، فهل تعرف غيرَهما؟ قلت: نعم، ههنا فُضيل بنُ عياض، قال: وشاهد هو؟ قلت: نعم، قال: فأتينا فضيلًا، فإذا هو في غرفة له قائمٌ يصلي يتلو آية من القرآن، فجعل يردِّدها، فجعل هارونُ يستمع ويبكي، وكان هارون رجلًا رقيقًا، قال: فدققتُ عليه الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجبْ أمير المؤمنين، فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ قلت: رحمك الله، أوما عليك طاعة؟ قال: أو ليسَ قد رُوي عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَيْسَ لِلْمُومِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ»؟ فنزل ففتح الباب، ثمّ طلع الغرفة، فأطفأ السراج، ثمّ التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة، قال: فجعلتُ أجول أنا وهارون في البيت بأيدينا، فسبقت كفُّ هارون كفي إليه، فسمعتُه وهو يقول: أوّه من كَفٍّ ما

ألينَها إن نجتْ غدًا من عذاب الله تعالى، قال: فعلمتُ أنه سيكلمه بكلام نقي من قلب نقي، قال: خذ لما جئناك له، فقال: يا أمير المؤمنين! لما ولي عمرُ بنُ عبدِ العزيز الخلافةَ دعا سالمَ بنَ عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -، ومحمّدَ بنَ كعب القرظيَّ، ورجاءَ بنَ حيوةَ الكنديَّ. فقالَ: ويحكم! إني قد بُليتُ بهذا البلاءِ، فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافة بليةً، وعَدَدْتَها نعمةً أنت وأصحابُك، فقال: سالم بنُ عبد الله: يا أمير المؤمنين! إذا أردتَ النجاة غدًا من عذاب الله -عَزَّوَجَلَّ-، فصم «عن» الدنيا، وليكن إفطارُك منها الموت.

وقال له محمّدُ بنُ كعب القرظيُّ: يا أمير المؤمنين! إذا أردتَ النجاة غدًا من عذاب الله -عَزَّوَجَلَّ-، فليكن كبيرُ المسلمين عندك أبًا، وأوسطُهم عندك أخًا، وأصغرُهم عندك ولدًا، فأكرِمْ أباك، ووقّرْ أخاك، وتحنّنْ على ولدِك. وقال له رجاءُ بنُ حيوةَ: يا أمير المؤمنين! إذا أردتَ النجاة غدًا من عذاب الله -عَزَّوَجَلَّ-، فأحبَّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك، واكرهْ لهم ما تكرهُ لنفسك، ثم مُتْ إذا شئت.

وإني أقول لك هذا، وإني لأخافُ عليك أشدَّ الخوف من يوم تزلُّ فيه الأقدام، فهل معك مثلُ هذا -رحمك الله-، أو من يأمرُك بمثل هذا؟ فبكي هارونُ حتى غُشي عليه. فقلت له: ارفقْ بأمير المؤمنين -رحمك الله-، فقال: يا بن أم الربيع! تقتلُه أنت وأصحابُك، وأرفُقُ به أنا؟! قال: فأفاق هارون، ثم استوى جالسًا، فقال: زدني، فقال: يا أمير المؤمنين! بلغني أن واليًا لعمرَ بن عبد العزيز شُكي إليه، فكتب إليه: يا أخي! أذكّرك طولَ سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإنَّ أجلك يطرقُك إلى الموت نائمًا ويقظانًا، وإياكَ أن ينصرف بك من عند الله -عَزَّوَجَلَّ-، فيكون آخر العهد، وينقطع الرجاء. فلما قرأ الكتاب، طوى البلاد حتى قَدِم على عمر، فقال: ما أقدمَكَ؟ قال: قد خلعْتَ

قلبي بكتابك، ولا أعودُ إلي ولاية حتى ألقي الله -عَزَّوَجَلَّ-. فبكي هارون حتى غُشي عليه، ثم استوى جالسًا، فقال: زدني- يرحمك الله-، قال: إن أباك عمَّ المصطفي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- سأل المصطفي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: فقال: أمِّرْني، فقال: «يَا عَبَّاسُ! يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ! نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا؛ فَإِنَّ الإِمْرَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال: زدني، قال: يا حسن الوجه! أنت الذي يسألك الله -عَزَّوَجَلَّ- عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجهَ الحسنَ من النار، فافعل، ولا تصبح وتمسي وفي قلبك لأحدٍ من أهل ولايتك غشّ؛ فإن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، فَأَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا، لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**».

قال: رحمك الله! هل عليك دَيْن؟ قال: نعم، دين لربي -تبارك وتعالى- لم يحاسبني بعدُ، فويل لي إن ناقشني، وويلٌ لي إن ساءَلني، وويلٌ لي إن وافقني، وويلٌ لي إن لم أُلْهَم حجتي.

قال: أُعفيكَ من دين العباد؟ قال: لا، لأن عندي خيرًا كثيرًا لا أحتاج معه إلي ما في أيدي الناس. قال أبو عمر: كأنه يعني القرآنَ والسُنَنَ والدعاء.

قال: فهذه ألفُ دينار خذْها تستعين بها على عيالك وزمانك، وتوسِّع بها عليهم، قال: إن ربي -عَزَّوَجَلَّ- لم يأمرني بهذا، أمرني أن أُطيع أمره، وأصدّق وعدَه، وقد قال- تبارك وتعالي-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فراجعَه، فقال: يا هذا! أنا أصفُ لك طريقَ النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟! ثم صَمَتَ فلم يردَّ علينا شيئًا حتى خرجْنا من عنده، فقال هارون: يا عباسي! إذا دَلَلْتَنى، فدلّني على مثل هذا، هذا سيدُ المسلمينَ اليوم. «رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء(٨/ ١٠٥-١٠٨)،

والبيهقي في «شعب الإيمان»(٧٤٢٥-٧٤٢٦)» .

قال الذهبي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في ترجمة الفضيل:

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك.«السير(٨/ ٤٤٢)» .

ميمون بن مهران-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

عن أَبُو المَلِيْحِ الرَّقِّيُّ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: عَنْ حَبِيْبِ بنِ أَبِي مَرْزُوْقٍ: قَالَ مَيْمُوْنٌ: وَدِدْتُ أَنَّ إِحْدَى عَيْنَيَّ ذَهَبَتْ، وَأَنِّي لَمْ أَلِ عَمَلاً قَطُّ، لاَ خَيْرَ فِي العَمَلِ لِعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ، وَلاَ لِغَيْرِهِ .

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: كَانَ وَلِيَ خَرَاجَ الجَزِيْرَةِ، وَقَضَاءهَا، وَكَانَ مِنَ العَابِدِيْنَ. «السير(٥/ ٧٣)» .

استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة وقضائها فقال ولده عمرو سمعت أبي يقول: وددت أن أصبعى قطعت من ههنا وأنى لم أل لا لعمر بن عبد العزيز ولا لغيره.«تذكرة الحفاظ(١/ ٧٦)» .

عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَر: عَنْ أَبِي المَلِيْحِ، قَالَ: قَالَ مَيْمُوْنٌ: إِذَا أَتَى رَجُلٌ بَابَ سُلْطَانٍ، فَاحْتَجَبَ عَنْهُ، فَلْيَأْتِ بُيُوْتَ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهَا مُفَتَّحَةٌ، فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَلْيَسْأَلْ حَاجَتَهُ.

وَقَالَ مَيْمُوْنٌ: قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكْتُبَ فِي الدِّيْوَانِ، فَيَكُوْنَ لَكَ سَهْمٌ فِي الإِسْلاَمِ؟ قُلْتُ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ لِي سِهَامٌ فِي الإِسْلاَمِ.

قَالَ: مَنْ أَيْنَ، وَلَسْتَ فِي الدِّيْوَانِ؟! فَقُلْتُ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ سَهْمٌ،

وَالصَّلاَةُ سَهْمٌ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ سَهْمٌ، وَالحَجُّ سَهْمٌ. قَالَ: مَا كُنْت أَظُنُّ أَنَّ لأَحَدٍ فِي الإِسْلاَمِ سَهْماً إِلاَّ مَنْ كَانَ فِي الدِّيْوَانِ.

قُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ حَكِيْمُ بنُ حِزَامٍ لَمْ يَأْخُذْ دِيْوَاناً قَطُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُوْلَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَسْأَلَةً، فَقَالَ: (اسْتَعِفَّ يَا حَكِيْمُ خَيْرٌ لَكَ).

قَالَ: وَمِنْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟قَالَ: وَمِنِّي. قَالَ: لاَ جَرَمَ لاَ أَسْأَلُكَ وَلاَ غَيْرَكَ شَيْئاً أَبَداً، وَلَكِنْ ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يُبَارِكَ لِي فِي صَفْقَتِي -يَعْنِي: التِّجَارَةَ-.فَدَعَا لَهُ.

أَبُو المَلِيْحِ: سَمِعْتُ مَيْمُوْنَ بنَ مِهْرَانَ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّ زَوْجَةَ هِشَامٍ مَاتَتْ، وَأَعْتَقَتْ كُلَّ مَمْلُوْكٍ لَهَا.

فَقَالَ: يَعْصُوْنَ اللهَ مَرَّتَيْنِ، يَبْخَلُوْنَ بِهِ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يُنْفِقُوْهُ، فَإِذَا صَارَ لِغَيْرِهِم، أَسْرَفُوا فِيْهِ. «السير(٥/ ٧٥-٧٦)» .

محمد بن إسماعيل البخاري -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

عن ابن منير- رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: أن سلطان بخاري، بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري يقول: احمل إليّ كتاب (الجامع) و (التاريخ) لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: (قل له أنا لا أذل العلم، ولا آتي أبواب السلاطين فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضرني في مسجدي أو في داري. «أخرجه الخطيب(٢/ ٣٣)في تاريخه» .

المُسَيَّبُ بنُ رَافِعٍ أَبُو العَلاَءِ الأَسَدِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

الفَقِيْهُ الكَبِيْرُ، أَبُو العَلاَءِ الأَسَدِيُّ، الكَاهِلِيُّ، كُوْفِيٌّ، ثَبْتٌ.

وَقِيْلَ: إِنَّ عُمَرَ بنَ هُبَيْرَةَ الأَمِيْرَ أَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَ المُسَيَّبَ القَضَاءَ، فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي، وَإِنَّ سَوَارِي مَسْجِدِكُم لِي ذَهَباً. قِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَةٍ. «السير(٥/ ١٠٢)»

أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

قَالَ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ بِشْرِ بنِ الوَلِيْدِ، قَالَ: طَلَبَ المَنْصُوْرُ أَبَا حَنِيْفَةَ، فَأَرَادَه عَلَى القَضَاءِ، وَحَلَفَ لَيَلِيَنَّ، فَأَبَى، وَحَلَفَ: إِنِّي لاَ أَفْعَلُ .

فَقَالَ الرَّبِيْعُ الحَاجِبُ: تَرَى أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَحلِفُ وَأَنْتَ تَحلِفُ؟ .

قَالَ: أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى كَفَّارَةِ يَمِيْنِه أَقْدَرُ مِنِّي.

فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ، فَمَاتَ فِيْهِ بِبَغْدَادَ.

وَقِيْلَ: دَفَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى صَاحِبِ شُرطَتِه حُمَيْدٍ الطُّوْسِيِّ، فَقَالَ: يَا شَيْخُ!

وَعَنْ مُغِيْثِ بنِ بُدَيْلٍ، قَالَ: دَعَا المَنْصُوْرُ أَبَا حَنِيْفَةَ إِلَى القَضَاءِ، فَامْتَنَعَ، فَقَالَ: أَتَرغَبُ عَمَّا نَحْنُ فِيْهِ؟

فَقَالَ: لاَ أَصْلُحُ. قَالَ: كَذَبتَ. قَالَ: فَقَدْ حَكَمَ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ عَلَيَّ أَنِّي لاَ أَصْلُحُ، فَإِنْ كُنْتُ كَاذِباً، فَلاَ أَصلُحُ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقاً، فَقَدْ أَخْبَرتُكُم أَنِّي لاَ أَصلُحُ. فَحَبَسَهُ .

وَرَوَى نَحْوَهَا: إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنِ الرَّبِيْعِ الحَاجِبِ، وَفِيْهَا:

قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: وَاللهِ مَا أَنَا بِمَأْمُوْنِ الرِّضَى، فَكَيْفَ أَكُوْنُ مَأْمُوْنَ الغَضَبِ، فَلاَ أَصلُحُ لِذَلِكَ.

قَالَ المَنْصُوْرُ: كَذَبتَ، بَلْ تَصلُحُ.

فَقَالَ: كَيْفَ يَحِلُّ أَنْ تُوَلِّيَ مَنْ يَكْذِبُ؟ .

وَقِيْلَ: إِنَّ أَبَا حَنِيْفَةَ وَلِيَ لَهُ، فَقَضَى قَضِيَّةً وَاحِدَةً، وَبَقِيَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ اشْتَكَى سِتَّةَ أَيَّامٍ، وَتُوُفِّيَ.

وَقَالَ الفَقِيْهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيُّ: لَمْ يَقْبَلِ العَهْدَ بِالقَضَاءِ، فَضُرِبَ، وَحُبِسَ، وَمَاتَ فِي السِّجْنِ.«السير(٦/ ٤٠١-٤٠٢)» .

محمد بن عتاب الجذامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: أَبُو عَبْد اللَّه مفتي قرطبة وعالمها.

وُلِد سُنَنَّة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة.

قال ابن بشكوال: وكان فقيهًا، عالمًا، عاملًا، ورعًا، عاقلًا، بصيرًا بالحديث وطُرُقه، عالمًا بالوثائق لا يُجارى فيها، كتبها عمره فلم يأخذ عليها من أحدٍ أجرًا. وكان يحكي أنه لم يكتبها حَتَّى قرأ فيها أزيد من أربعين مؤلَّفًا.

وكان متفننا في علوم وفنون من العلم، حافظًا للأخبار والأمثال والأشعار، صليبًا في الحق، مريدًا له، منقبضًا عن السلطان وأسبابه، جاريا على سُنن الشيوخ متواضعًا، مقتصدًا في ملبسه، يتولّى حوائجه بنفسه وكان شيخ أَهْل الشورى في زمانه، وعليه كانَ مدار الفتوى.

دُعي إِلَى قضاء قُرْطُبَة مِرارًا، فأبى ذلك، وكان يهاب الفتوى ويخاف عاقبتها في الأخرى، ويقول: من يحسدني فيها جعله اللَّه مفتيا. وددت أني نجوت منها كَفافًا.

وكانت له اختيارات من أقاويل العلماء، يأخذ بها في خاصة نفسه.

وذكره أَبُو علي الغساني فقال: كان من جلّة العلماء الأثبات، وممن عني بالفقه وسماع الحديث وأقـره، وقيده فأتقنه. وكتب بخطه علما كثيرا. «السير(٣١/ ٧٤)» .

كان متواضعا يتصرّف راجلا، ويحمل خبزه إلى الفرن بنفسه، ويتولّى شراء

حوائجه ويحملها إلى داره بنفسه، فإذا لقيه من يكبره من طلبته وغيرهم، وسأله أن يكفيه مئونتها قال له: لا أفعل، الّذي يأكلها يحملها. وهو مع ذلك في عيون الناس وقلوبهم النجم رفعة وجلالة، حتى رئيس البلد ابن جهور ينزل إلى مسجده في الأحيان، لمهمّ الأمور، ويأخذ فيها رأيه هناك، وربما جمع له بقية فقهاء الشورى، فيقضي قضاءه وينفّذ أحكامه هناك.

وكان ابنه يقول: كان أبي يقول: لا غنى للطالب عن الإجازة، وإن سمع الديوان أو الحديث قراءة على المحدّث أو منه، لجواز السهو والغفلة والسّنة على أحدهما قال: وعلى هذا اعتمدت في روايتي... أريد على القضاء غير مرة، فامتنع ولم يقدر عليه بشيء. طلبه أهل طليطلة، وأهل المرية لقضاء بلدهم على عادتهم معا في كون القضاء عندهم في غير بلدهم للتنافس الّذي كان بين أهل هذين البلدين في القضاء، فكانوا يطلبونه من غيرهم، فطلب أهل هذين البلدين ابن عتّاب لذلك، وبذلوا له ليقبل ذلك الرزق الواسع فامتنع، ولما مات القاضي بقرطبة سراج بن عبد الله رغبه ابن جهور بنفسه ولاطفه جهده، فلم يقدر عليه، وحلف بحضرته ألا يلي وقال: ما إبايتي إلّا إباية ضعف وقوة، لا من وهن وطاعة.

وحكي أنه كان خلّف صندوقا مقفلا قد أوصى ألّا يفتح إلّا بعد موته، فلما مات، فتح، فإذا فيه أربعة كتب من أربعة رؤساء: ابن عبّاد، وابن الأفطس. وابن صمادح، وابن هود، كل منهم يدعوه إلى نفسه وتقلّد القضاء ببلده وقد كتب على كل كتاب منها: تركت هذا لله.

وسأله رجل عن مسائل انتخبها وأعدّها فأجابه أحسن جواب، فأثنى عليه الرجل فقال له: يا ابن أخي لا تتّخذ هذا عادة، فلولا أني طالعتها البارحة ما أجبتك بمثل هذا، أو كما قال. «ترتيب المدارك(٤/ ٨١١-٨١٢)» .

مُحَمَّدُ بنُ جَرِيرِ بنِ يَزِيْدَ الطَّبَرِيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

الإِمَامُ، العَلَمُ، المجتهدُ، عَالِمُ العَصر، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَة.

قال الذهبي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وَقِيْلَ: إِنَّ المُكْتَفِي أَرَادَ أَنْ يحبِّسَ وَقفاً تجتمعُ عَلَيْهِ أَقَاوِيلُ العُلَمَاء، فَأَحضر لَهُ ابْن جَرِيْر، فَأَملَى عَلَيْهِم كِتَاباً لِذَلِكَ، فَأُخْرَجت لَهُ جَائِزَة، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا، فَقِيْلَ لَهُ: لاَ بُدَّ مِنْ قَضَاءِ حَاجَة.

قَالَ: أسأَلُ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ يمْنَع السُّؤال يَوْم الجُمُعَة، فَفَعَل ذَلِكَ.

وَكَذَا التمسَ مِنْهُ الوَزِيْرُ أَنْ يعملَ لَهُ كِتَاباً فِي الفِقْه، فَأَلَّف لَهُ كِتَاب (الخَفِيْف) فَوجَّه إِلَيْهِ بِأَلفِ دِيْنَار، فَرَدَّهَا. «السير (١٤/ ٢٧٠)» .

وقال الذهبي في السير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وَقَالَ أَبُو مُحَمَّد الفرغَانِيُّ فِي (ذيل تَارِيْخه) عَلَى (تَارِيْخ الطَّبَرِي) ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ هَارُوْنُ بنُ عَبْد العَزِيْز، أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لَمَّا دَخَلَ بَغْدَاد، وَكَانَتْ مَعَهُ بِضَاعَةٌ يتقوَّتُ مِنْهَا، فَسرقت فَأَفضَى بِهِ الحَالُ إِلَى بيع ثِيَابِهِ وَكُمَّي قَمِيصِه، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصدقَائِه: تنشَطُ لتَأْدِيْب بَعْضِ وَلَد الوَزِيْر أَبِي الحَسَنِ عبيد الله بن يَحْيَى بن خَاقَان؟ .

قَالَ: نَعَمْ.

فَمَضَى الرَّجُل، فَأَحكَمَ لَهُ أَمره، وَعَاد فَأَوصَلَه إِلَى الوَزِيْر بَعْدَ أَنْ أَعَاره مَا يلبَسُهُ، فَقرَّبه الوَزِيْر وَرفعَ مَجْلِسه، وَأَجرَى عَلَيْهِ عَشْرَة دَنَانِيْر فِي الشَّهْر، فَاشترطَ عَلَيْهِ أَوقَاتَ طلبه لِلْعِلم وَالصَّلوَات وَالرَّاحَة، وَسأَل إِسلَافَهُ رِزْقَ شَهْر، فَفَعَل، وَأَدخل فِي حُجْرَة التَّأْدِيْب، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الصَّبيّ - وَهُوَ أَبُو يَحْيَى - فَلَمَّا كتَّبه أَخَذَ الخَادِمُ اللَّوْحَ، وَدخلُوا مُسْتَبْشرين، فَلَمْ تبقَ جَارِيَةٌ إِلاَّ أَهدتْ إِلَيْهِ صينيةٌ فِيْهَا دَرَاهُمُ وَدنَانير، فردَّ الجَمِيْع وَقَالَ: قَدْ شُورطتُ عَلَى شَيْءٍ، فَلاَ

آخُذُ سِوَاهُ.

فَدَرَى الوَزِيْر ذَلِكَ، فَأدخلته إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ، فَقَالَ: هَؤُلاَءِ عبيدٌ وَهُم لاَ يملكُون فعظُم ذَلِكَ فِي نَفْسِه.

وَكَانَ رُبَّمَا أَهدَى إِلَيْهِ بَعْضُ أَصدقَائِه الشَّيْءَ فيَقْبله، وَيكَافِئُهُ أَضعَافاً لِعِظَمِ مُروءته.«السير(١٤/ ٢٧٢)».

وقال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قَالَ الفرغَاني: وَكَتَبَ إِلَيَّ المرَاغِي، قَالَ: لَمَّا تقلَّد الخَاقَانيُّ الوزَارَةَ وَجَّهَ إِلَى أَبي جَعْفَر الطَّبَرِيَ بِمَال كَثِيْر، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُوله، فَعَرض عَلَيْهِ القَضَاء فَامْتَنَعَ، فَعَرض عَلَيْهِ المَظَالِم فَأَبَى، فَعَاتَبه أَصْحَابه وَقَالُوا: لَكَ فِي هَذَا ثَوَاب، وَتُحْيِي سُنَّةً قَدْ دَرَسَتْ.

وَطمعُوا فِي قَبُوله المَظَالِم، فَبَاكروهُ لِيَرْكَبَ مَعَهُم لقبُول ذَلِكَ، فَانتَهَرَهُم وَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لَوْ رغبتُ فِي ذَلِكَ لَنَهَيْتُمُونِي عَنْهُ. قَالَ: فَانْصَرَفْنَا خَجِلين. «السير(١٤/ ٢٧٥)».

ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ أَحْمَد بن عَمْرو أَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانيّ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: ابْنُ أَبِي عَاصِم أَحْمَد بن عَمْرو أَبُو بَكْر الشَّيْبَانيّ حَافظٌ كَبِيْرٌ، إِمَامٌ، بارعٌ، مُتَّبعٌ للآثَار، كَثِيْرٌ التَّصَانِيْف. قَدِمَ أَصْبَهَانَ عَلَى قَضَائِهَا، وَنَشَرَ بِهَا علمه. قَالَ أَبُو الشَّيْخ: كَانَ مِنَ الصِّيَانَة وَالعِفَّة بِمَحَلٍّ عَجِيْب. قَالَ ابْنُ عَبْدَكَويه: سَمِعْتُ عَاتِكَة بِنْتَ أَحْمَد تَقُوْلُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: جَاءَ أَخِي عُثْمَان عهدُه بالقَضَاء عَلَى سَامَرَّاء، فَقَالَ: أَقْعُدُ بَيْنَ يَدَي الله تَعَالَى قَاضِياً؟! فَانْشَقَّت مرَارَتُه، فَمَاتَ. قَالَ ابْنُ عَبْدَكَويه: أَخْبَرَتْنَا عَاتِكَة: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: خَرَجتُ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الكُوْفَة، فَأَكَلتُ أَكْلَةً بِالكُوْفَة، وَالثَّانِيَة بِمَكَّةَ. قُلْتُ: إِسنَادُهَا صَحِيْح. «السير(١٣/ ٤٣١)».

حماد بن سلمة - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - :

قال الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: عن مُقَاتِلُ بْنُ صَالِحِ الْخُرَاسَانِيُّ – صَاحِبُ الْحُمَيْدِيِّ – بِمَكَّةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فَإِذَا لَيْسَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا حَصِيرٌ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ وَمُصْحَفٌ يَقْرَأُ فِيهِ وَجِرَابٌ فِيهِ عِلْمُهُ، وَمِطْهَرَةٌ يَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ جَالِسٌ إِذْ دَقَّ عَلَيْهِ دَاقُّ الْبَابَ، فَقَالَ: يَا صَبِيَّةُ اخْرُجِي فَانْظُرِي مَنْ هَذَا، قَالَتْ: هَذَا رَسُولُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قُولِي لَهُ يَدْخُلُ وَحْدَهُ، فَدَخَلَ، فَسَلَّمَ، وَنَاوَلَهُ كِتَابَهُ، فَقَالَ: اقْرَأْهُ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ إِلَى حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، أَمَا بَعْدُ فَصَبَّحَكَ اللَّهُ بِمَا صَبَّحَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، وَقَعَتْ مَسْأَلَةٌ، فَأْتِنَا نَسْأَلُكَ عَنْهَا، قَالَ: يَا صَبِيَّةُ هَلُمِّي الدَّوَاةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: اقْلِبِ الْكِتَابَ وَاكْتُبْ: أَمَا بَعْدُ: وَأَنْتَ فَصَبَّحَكَ اللَّهُ بِمَا صَبَّحَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، إِنَّا أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ وَهُمْ لَا يَأْتُونَ أَحَدًا، فَإِنْ وَقَعَتْ مَسْأَلَةٌ فَأْتِنَا فَسَلْنَا عَمَّا بَدَا لَكَ، وَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَأْتِنِي إِلَّا وَحْدَكَ، وَلَا تَأْتِنِي بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ، فَلَا أَنْصَحُكَ وَلَا أَنْصَحُ نَفْسِي وَالسَّلَامُ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ جَالِسٌ إِذْ دَقَّ دَاقُّ الْبَابَ، فَقَالَ: يَا صَبِيَّةُ اخْرُجِي فَانْظُرِي مَنْ هَذَا، قَالَتْ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قُولِي لَهُ يَدْخُلْ وَحْدَهُ، فَدَخَلَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: «مَا لِيَ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ امْتَلَأْتُ رُعْبًا» ، فَقَالَ حَمَّادٌ: سَمِعْتُ ثَابِتًا الْبُنَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللَّهِ هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْنِزَ بِهِ الْكُنُوزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فِي رَجُلٍ لَهُ ابْنَانِ وَهُوَ عَنْ أَحَدِهِمَا أَرْضَى، فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ ثُلُثَيْ مَالِهِ، قَالَ: لَا تَفْعَلْ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ ثَابِتًا الْبُنَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدَهُ بِمَالِهِ وَفَّقَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ

لَوَصِيَّة جَائِرَة» قَالَ: فَحَاجَةٌ إِلَيْكَ، قَالَ: هَات، مَا لَمْ تَكُنْ رَزِيَّةٌ فِي دِين، قَالَ: أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَم تَأْخُذُهَا تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْه، قَالَ: ارْدُدْهَا عَلَى مَنْ ظَلَمْتَهُ بِهَا، قَالَ: وَاللَّه مَا أُعْطِيكَ إِلَّا مَا وَرِثْتُهُ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، ازْوِهَا عَنِّي زَوَى اللَّهُ عَنْكَ أَوْزَارَكَ، قَالَ: فَغَيْرَ هَذَا، قَالَ: هَات، مَا لَمْ يَكُنْ رَزِيَّةٌ فِي دِين، قَالَ تَأْخُذُهَا فَتَقْسِمَهَا، قَالَ: فَلَعَلِّي إِنْ عَدَلْتُ فِي قَسْمِهَا أَنْ يَقُولَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يُرْزَقْ مِنْهَا: إِنَّهُ لَمْ يَعْدِلْ فِي قَسْمِهَا فَيَأْثَمَ ازْوِهَا عَنِّي زَوَى اللَّهُ عَنْكَ أَوْزَارَكَ». «الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٣٦٢)» .

المبحث الثاني عشر

القضاة من الصحابة

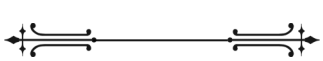

وَقَالَ مَسْرُوْقٌ: كَانَ القَضَاءُ فِي الصَّحَابَةِ إِلَى سِتَّةٍ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُوْدٍ، وَأُبَيٍّ، وَزِيْدٍ، وَأَبِي مُوْسَى. «السير(٢/ ٣٨٨)» .

عن نافع، قال: استعمل عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على القضاء، وفرض له رزقا «ابن عساكر(٥/ ٤٥٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ٣٥٩)».

فضالة بن عبيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

وَقَالَ ابْنُ يُوْنُسَ: شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَوَلِيَ بِهَا القَضَاءَ وَالبَحْرَ لِمُعَاوِيَةَ. «السير(٣/ ١١٤)» .

قال الذهبي: أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ يَقْضِي عَلَى دِمَشْقَ، وَإِنَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ، أَتَاهُ مُعَاوِيَةُ عَائِداً، فَقَالَ: مَنْ تَرَى لِلأَمْرِ بَعْدَكَ؟ .

قَالَ: فَضَالَةُ بنُ عُبَيْدٍ.

فَلَمَّا تُوُفِّيَ، قَالَ مُعَاوِيَةُ لِفَضَالَةَ: إِنِّيْ قَدْ وَلَّيْتُكَ القَضَاءَ.

فَاسْتَعْفَى مِنْهُ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا حَابَيْتُكَ بِهَا، وَلَكِنِّي اسْتَتَرْتُ بِكَ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَتِرْ مِنْهَا مَا اسْتَطَعْتَ .

قَالَ سَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ: لَمَّا سَارَ مُعَاوِيَةُ إِلَى صِفِّيْنَ، اسْتَعْمَلَ عَلَى دِمَشْقَ فَضَالَةَ. «السير(٣/ ١١٥)» . .

بلال -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

وَقَالَ سَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ: وَلِيَ القَضَاءَ بَعْدَ النُّعْمَانِ بن بَشِيْرٍ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عَبْدُ المَلِكِ، عَزَلَهُ بِأَبِي إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيِّ. «السير(٤/ ٢٨٥)» .

النعمان. بن بشير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

وَقَالَ سَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ: وَلِيَ القَضَاءَ بَعْدَ النُّعْمَانِ بن بَشِيْرٍ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عَبْدُ المَلِكِ، عَزَلَهُ بِأَبِي إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِي. «السير(٤/ ٢٨٥)».

المبحث الثالث عشر

ذكر بعض من طلب للقضاء فرفضه

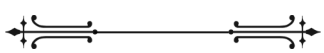

عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-:

عن نافع، قال: لما قتل عثمان، جاء علي إلى ابن عمر، فقال: إنك محبوب إلى الناس، فسر إلى الشام، فقال: بقرابتي وصحبتي والرحم التي بيننا.

قال: فلم يعاوده.

ابن عيينة: عن عمر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: بعث إلي علي، فقال: يا أبا عبدالرحمن ! إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم.

فقلت: أذكرك الله، وقرابتي من رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحبتي إياه، إلا ما أعفيتني، فأبى علي.

فاستعنت عليه بحفصة، فأبى.

فخرجت ليلا إلى مكة، فقيل له: إنه قد خرج إلى الشام.

فبعث في أثري، فجعل الرجل يأتي المربد، فيخطم بعيره بعمامته ليدركني.

قال: فأرسلت حفصة: إنه لم يخرج إلى الشام، إنما خرج إلى مكة.

فسكن.

الأسود بن شيبان: عن خالد بن سمير، قال: هرب موسى بن طلحة من

المختار، فقال: رحم الله ابن عمر ! إني لاحسبه على العهد الأول لم يتغير، والله ما استفزته قريش.

فقلت في نفسي: هذا يزري على أبيه في مقتله.

وكان علي غدا على ابن عمر، فقال: هذه كتبنا، فاركب بها إلى الشام، قال: أنشدك الله والإسلام .

قال: والله لتركبن. قال: أذكرك الله واليوم الآخر. قال: لتركبن والله طائعا أو كارها. قال: فهرب إلى مكة. «السير(٣/ ٢٢٣-٢٢٤)» .

ابن المعلم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

إِسْمَاعِيل بن عُثْمَان بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن تَمام بن مُحَمَّد الْحَنَفِيّ الْمَعْرُوف بِابْنِ الْمعلم رشيد الدّين ... وَكَانَ فَاضلاً فِي مَذْهَب الْحَنَفِيَّة تفقه على الْجمال مَحْمُود الجعبري وَعمر حَتَّى انْفَرد وَأفْتى وَدرّس قدم الْقَاهِرَة فِي زمن التتار فَأَقَامَ بهَا إِلَى أَن مَاتَ وَكَانَ قد عرض عَلَيْهِ الْقَضَاء بدمَشْق فَأبى ... وَامْتنع من الإقراء لكَونه كَانَ تَارِكًا وَكَانَ بَصيرًا فِي الْعَرَبِيَّة رَأْسا فِي الْمَذْهَب قَالَ الذَّهَبِيّ كَانَ ديّناً مقتصداً فِي لِبَاسه متزهداً بَلغنِي أَنه تغير بآخرة وَكَانَ مُنْقَطِعًا عَن النَّاس وَمَات ابْنه قبله بيَسِير. «الدرر الكامنة(١/ ٤٣٩)» .

مكحول - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

عَنْ مَكْحُوْل: لأَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلِيَ القَضَاءَ، وَلأَنْ أَلِيَ القَضَاءَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلِيَ بَيْتَ المَالِ. «السير(٥/ ١٦١)» .

منصور بن المعتمر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

وَقَالَ زَائِدَةُ: امْتَنَعَ مَنْصُوْرٌ مِنَ القَضَاءِ، فَدَخَلتُ عَلَيْهِ وَقَدْ جِيْءَ بِالقَيدِ

لِيُقَيَّدَ، فَجَاءهُ خَصمَان، فَقَعَدَا، فَلَمْ يَسْأَلْهُمَا، وَلَمْ يُكَلِّمْهُمَا. فَقِيْلَ لِيُوْسُفَ بنِ عُمَرَ: لَوْ نَثَرتَ لَحْمَه لَمْ يَلِ القَضَاءِ. فَتَرَكَهُ. «السير(٥/ ٤٠٦)».

قال الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

ولي الصلاة والخطبة بجامع المرسية وكان يعرف القراءات ودعي إلى القضاء فأبى وانتقل بعد تغلب العدو إلى مرسية ثم تحول إلى فاس واستقر في سبتة يقرئ فيها ويحدث حتى بعُد صيته وعلا ذكره وارتحلوا إليه، إلى أن قال: وكان له بصر بصناعة الحديث موصوفًا بجودة الفهم، استدعي إلى مراكش وسمع منه السلطان، ثنا عنه عالم بن الجلة.« تذكرة الحفاظ(٤/ ١١٠)» .

المسيب ابن رافع الفقيه الكبير أبو العلاء الاسدي الكاهلي كوفي ثبت:

وقيل: أن عمر بن هبيرة الأمير أراد أن يولي المسيب القضاء، فقال: ما يسرني، وإن سواري مسجدكم لي ذهبا. «السير(٥/ ١٠٣)» .

أبو الشعثاء جابر بن يزيد الأزدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

وَعَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ، قَالَ: لَوِ ابْتُلِيْتُ بِالقَضَاءِ، فرَكِبْتُ رَاحِلَتِي، وَهَرَبْت. «السير(٤/ ٤٣٨)».

أبو قلابة الجرمي.

قَالَ حَمَّادٌ: سَمِعْتُ أَيُّوْبَ ذَكَرَ أَبَا قِلاَبَةَ، فَقَالَ: كَانَ –وَاللهِ– مِنَ الفُقَهَاءِ ذَوِي الأَلْبَاب، إِنِّي وَجَدْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالقَضَاءِ أَشَدَّهُم مِنْهُ فِرَاراً، وَأَشَدَّهُم مِنْهُ فَرَقاً؛ وَمَا أَدْرَكْتُ بِهَذَا المِصْرِ أَعْلَمَ بِالقَضَاءِ مِنْ أَبِي قِلاَبَةَ، لاَ أَدْرِي مَا مُحَمَّدٌ.

ابْنُ عُلَيَّةَ: عَنْ أَيُّوْبَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أُذَيْنَةَ –يَعْنِي: قَاضِي البَصْرَةِ– زَمَنَ شُرَيْحٍ، ذُكِرَ أَبُو قِلاَبَةَ لِلْقَضَاءِ، فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى اليَمَامَةَ.

قَالَ: فَلَقِيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا وَجَدْتُ مَثَلَ القَاضِي العَالِمِ إلاَّ مَثَلَ رَجُلٍ وَقَعَ فِي بَحْرٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَسْبَحَ حَتَّى يَغْرَق. «السَير (٤/ ٤٧٠)».

المبحث الرابع عشر
نماذج من إصلاح العلماء معايشهم
واستغنائهم عن الأمراء والسلاطين

قيس بن عاصم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

وعن قيس بن عاصم أنه أوصى بنيه قال: عليكم بالمال واصطناعه، فإنه منبهة للكريم، ويستغني به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس، فإنه آخر كسب الرجل. «موسوعة ابن أبي الدنيا(٢/ ٢٤٧)».

المُعَافَى بنُ عِمْرَانَ بنِ نُفَيْلِ بنِ جَابِرِ بنِ جَبَلَةَ الأَزْدِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَم، يَاقُوتَةُ العُلَمَاءِ، أَبُو مَسْعُوْدٍ الأَزْدِيُّ، المَوْصِلِيُّ، الحَافِظُ.

وقَالَ الهَيْثَمُ بنُ خَارِجَةَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلاً آدَبَ مِنَ المُعَافَى بن عِمْرَانَ، وَبَلَغَنَا أَنَّ المُعَافَى كَانَ أَحَدَ الأَسخِيَاءِ المَوْصُوْفِيْنَ، أَفنَى مَالَهُ الجُودُ، كَانَ إِذَا جَاءهُ مَغَلُّهُ، أَرْسَلَ مِنْهُ إِلَى أَصْحَابِهِ مَا يَكفِيْهِم سَنَةً، وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَثَلاَثِيْنَ رَجُلاً.

قُلْتُ: كَانَ مِنْ وُجُوْهِ الأَزْدِ.«السير(٩/ ٨٣)» .

قَالَ بِشْرٌ الحَافِي: كَانَ المُعَافَى صَاحِبَ دُنْيَا وَاسِعَة، وَضِيَاع كَثِيْرَة، قَالَ مَرَّةً رَجُلٌ: مَا أَشَدَّ البَرْدَ اليَوْمَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ المُعَافَى، وَقَالَ: أَسْتَدْفَأْتَ الآنَ؟ لَوْ سَكَتَّ، لَكَانَ خَيْراً لَكَ.«السير(٩/ ٨٤)» .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القَاسِمِ العُتَقِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

مَوْلاَهُمْ عَالِمُ الدِّيَّار المِصْرِيَّة، وَمُفْتِيْهَا، أَبُو عَبْدِ اللهِ العُتَقِيُّ مَوْلاَهُمْ، المِصْرِيُّ، صَاحِبُ مَالِكِ الإِمَام.

قال الذهبي: وَكَانَ ذَا مَالٍ وَدُنْيَا، فَأَنْفَقَهَا فِي العِلْم.

وَقِيْلَ: كَانَ يَمْتَنِعُ مِنْ جَوَائِزِ السُّلْطَانِ، وَلَهُ قَدَمٌ فِي الوَرَعِ وَالتَّأَلُّهِ.

قَالَ النَّسَائِيُّ: ثِقَةٌ، مَأْمُوْنٌ.

وَقَالَ الحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنٍ: سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: اللَّهُمَّ امْنَعِ الدُّنْيَا مِنِّي، وَامْنَعْنِي مِنْهَا.

وَبَلَغَنَا عَنِ ابْنِ القَاسِمِ، قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الحِجَازِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، أَنْفَقْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَلْفَ دِيْنَارٍ.

وَعَنِ ابْنِ القَاسِمِ، قَالَ: لَيْسَ فِي قُرْبِ الوُلاَةِ، وَلاَ فِي الدُّنُوِّ مِنْهُم خَيْرٌ. «السير(٩/ ١٢١)».

يحيى بن يسعيد القطان- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي صَفْوَانَ: كَانَ لِيَحْيَى القَطَّانِ نَفَقَةٌ مِنْ غَلَّتِه، إِنْ دَخَلَ مِنْ غَلَّتِه حِنطَةٌ، أَكَلَ حِنطَةً، وَإِنْ دَخَلَ شَعِيْرٌ، أَكَلَ شَعِيْراً، وَإِنْ دَخَلَ تَمْرٌ، أَكَلَ تَمراً. «السير(٩/ ١٨١)».

سفيان الثوري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

وَقَالَ يُوْسُفُ بنُ أَسْبَاطٍ: سُئِلَ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَهُوَ يَشْتَرِي شَيْئاً، فَقَالَ: دَعنِي، فَإِنَّ قَلْبِي عِنْدَ دِرْهَمِي.

وَرَوَى: مُوْسَى بنُ العَلاَءِ، عَنْ حُذَيْفَةَ المَرْعَشِيِّ، قَالَ:

قَالَ سُفْيَانُ: لأَنْ أُخَلِّفَ عَشْرَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ يُحَاسِبُنِي اللهُ عَلَيْهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحتَاجَ إِلَى النَّاسِ.

وَقَالَ رَوَّادُ بنُ الجَرَّاحِ: سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُوْلُ: كَانَ المَالُ فِيْمَا مَضَى يُكْرَهُ، فَأَمَّا اليَوْمَ، فَهُوَ تُرْسُ المُؤْمِنِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ البَاهِلِيُّ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الثَّوْرِيِّ يُشَاوِرُهُ فِي الحَجِّ.

قَالَ: لاَ تَصْحَبْ مَنْ يُكرَمُ عَلَيْكَ، فَإِنْ سَاوَيتَه فِي النَّفَقَةِ أَضَرَّ بِكَ، وَإِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَذَلَّكَ.

وَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَفِي يَدِهِ دَنَانِيْرُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! تُمْسِكُ هَذِهِ الدَّنَانِيْرَ؟!

قَالَ: اسْكُتْ، فَلَوْلاَهَا لَتَمَنْدَلَ بِنَا المُلُوْكُ. «السير (٧/ ٢١٤)».

الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي النحوي البصري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

قال ابن الجوزي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي النحوي البصري.

كتب إليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومنادمته بالليل، وبعث إليه ألف دينار ليستعين بها على حاله، فأخرج إلى الرسول زنبيلا فيه كسر يابسة، فأراه إياها وقال له: إني ما دمت أجد هذه الكسر فإني عنه غني وعن غيره، ورد الألف دينار وقال للرسول: اقرأ على الأمير السلام وقل له: إني قد ألفت قوما، وألفوني، أجالسهم طول نهاري وبعض ليلي، وقبيح لمثلي أن يقطع عادة تعودها إخوانه، وكتب إليه بهذه الأبيات:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال

وإن بين الغنى والفقر منزلة ... مقرونة بجديد ليس بالبالي
سخى بنفسي أني لا أرى أحدا ... يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال
كل امرئ بحبال الموت مرتهن ... فاعمد لبالك إني عامد بالي

وقد روي لنا أن الذي بعث إليه سليمان بن حبيب المهلبي، بعث إليه من أرض السند. وكان الخليل بالبصرة، وهذا أليق بالصحة، وقيل: من أرض الأهواز، ثم آل الأمر إلى أن صار الخليل وكيلا ليزيد بن حاتم المهلبي، وكان يجري عليه في كل شهر مائتي درهم.

وقال نصر بن علي الجهضمي، عن أبيه: كان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفسا، وأشدهم تعففا، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرضون «له» لينال منهم فلم يكن يفعل ذلك، وكان يعيش من بستان خلفه له أبوه. «المنتظم(٧/ ٢٧٩)».

ابن جرير الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

قال أبو محمد الفرغاني- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: كان محمد لا يأخذه في الله لومة لائم مع عظم ما يؤذَى، فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه وزهده ورفضه للدنيا وقناعته بما يجيئه من حصة خلفها له أبوه بطبرستان. «تذكرة الحفاظ(٢/ ٢٠٢)».

المبحث الخامس عشر

الدفاع عن العلماء الذين دخلوا على الملوك

أولاً: من العلماء من دخل عليهم ثم ندم منهم:

عمرو بن ميمون -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عَمْرُو بنُ مَيْمُوْنِ بن مِهْرَانَ، قَالَ: إِنِّي وَدِدْتُ أَنَّ أُصْبُعِي قُطِعَتْ مِنْ هَا هُنَا، وَأَنِّي لَمْ أَلِ لِعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ، وَلاَ لِغَيْرِهِ. «السير(٥/ ٧٢)».

عبد الحميد السكوني أبو حازم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: القَاضِي أَبُو خَازِمٍ عَبْدُ الحَمِيْدِ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ السَّكُوْنِيُّ الفَقِيْهُ، العَلاَّمَةُ، قَاضِي القُضَاةِ، أَبُو خَازِمٍ، عَبْدُ الحَمِيْدِ بن عَبْدِ العَزِيْزِ السَّكُوْنِيّ البَصْرِيّ، ثُمَّ البَغْدَادِيّ الحَنَفِيّ.

وَكَانَ ثِقَةً، ديناً، وَرِعاً، عَالِماً، أَحذقَ النَّاسِ بِعَمَلِ المَحَاضِرِ وَالسِّجِلاَّتِ، بَصِيْراً بِالجَبرِ وَالمُقَابَلَةِ، فَارِضاً، ذَكِيّاً، كَامِلَ العَقْلِ.

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قَدْ كَانَ المُعْتَضِد يحترم أَبَا خَازِمٍ وَيُجِلُّهُ، قِيْلَ: إِنَّ أَبَا خَازِمٍ لَمَّا احْتُضِرَ بَكَى، وَجَعَلَ يَقُوْلُ: يَا رَبِّ! مِنَ القَضَاءِ إِلَى القَبْرِ. وَلَهُ شِعر رقيقٌ. «السير(١٢/ ٥٤١)».

منصور بن المعتمر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي في السير- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ سَهْلٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ،

حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: لَمَّا وَلِيَ مَنْصُوْرُ بنُ المُعْتَمِر القَضَاءَ، كَانَ يَأْتِيْه الخَصمَان، فَيَقُصُّ ذَا قِصَّتَه، وَذَا قِصَّتَه، فَيَقُوْلُ: قَدْ فَهِمتُ مَا قُلتُمَا، وَلَسْتُ أَدْرِي مَا أَرُدُّ عَلَيْكُمَا.

فَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدَ بنَ عَبْدِ اللهِ أَو ابْنَ هُبَيْرَةَ، وَهُوَ الَّذي كَانَ وَلاَّهُ، فَقَالَ: هَذَا أَمرٌ لاَ يَنْفَعُ إلاَّ مَنْ أَعَانَ عَلَيْه بِشَهْوَةٍ. قَالَ: يَعْنِي: فَعَزَلَهُ. حَدَّثَنَا الأَخْنَسِيُّ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَقُوْلُ: كُنْتُ مَعَ مَنْصُوْرٍ جَالساً في مَنْزِله، فَتَصِيْحُ به أُمُّه، وَكَانَتْ فَظَّةً عَلَيْه، فَتَقُوْلُ: يَا مَنْصُوْرُ، يُرِيْدُك ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى القَضَاءِ فَتَأْبَى! .

وَهُوَ وَاضِعٌ لِحْيَتَه عَلَى صَدْرِه، مَا يَرْفَعُ طَرْفَه إِلَيْهَا.«السير(٥/ ٤٠٥)».

وقال: وَقَالَ زَائِدَةُ: امْتَنَعَ مَنْصُوْرٌ مِنَ القَضَاءِ، فَدَخَلتُ عَلَيْه وَقَدْ جِيْءَ بِالقَيدِ لِيُقَيَّدَ، فَجَاءهُ خَصمَان، فَقَعَدَا، فَلَمْ يَسْأَلْهُمَا، وَلَمْ يُكَلِّمْهُمَا. فَقِيْلَ لِيُوْسُفَ بنِ عُمَرَ: لَوْ نَثَرتَ لَحْمَه لَمْ يَلِ القَضَاءِ.

فَتَرَكَهُ. وَعَنْ مُفَضَّلٍ، قَالَ: حَبَسَ ابْنُ هُبَيْرَةَ مَنْصُوْراً شَهراً عَلَى القَضَاءِ، يُرِيْدُهُ عَلَيْه، فَأَبَى، وَقِيْلَ: إِنَّهُ أَحضَرَ قَيداً لِيُقَيِّدَه به، ثُمَّ خَلاَّهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ العِجْلِيُّ: كَانَ مَنْصُوْرٌ أَثْبَتَ أَهْلِ الكُوْفَةِ، لاَ يَخْتَلِفُ فِيْه أَحَدٌ، صَالِحٌ، مُتَعَبِّدٌ، أُكْرِهَ عَلَى القَضَاءِ، فَقَضَى شَهْرَيْنِ. «المصدر السابق(٥/ ٤٠٦)».

ثانياً: منهم من دخل عليهم ناصحاً واعظاً:

محمد بن أبي ذئب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عن محمّدِ بنِ إبراهيمَ، قال: حضرت أبا جعفرٍ المنصورَ بالمدينة، وعنده ابنُ أبي ذئبٍ، فقال له أبو جعفرٍ: يا بن أبي ذئب! أخبرْني بحالات الناس، فقال: يا

أمير المؤمنين! هلك الناس، وضاعت أمورُهم، فلو اتقيتَ الله فيهم، وقسمتَ فيهم فيئهم. قال: ويلَكَ يا بن أبي ذئب! لولا ما بعثنا بذلك الفيء من البعوث، وسددنا به من الثغور، لأتيت في منزلك، وأُخذت بعنقك، وذُبحْتَ كما يُذبَح الجمل. فقال ابن أبي ذئب: يا أمير المؤمنين! قد بعثَ البعوثَ، وسدَّ الثغورَ، وقسم فيهم فيئهم غيرُك، قال: وَيْلَكَ! ومن ذاك؟ قال: عمرُ بنُ الخطاب. قال: فأطرق أبو جعفر إطراقةً، ورفع رأسه، وقال: إن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عملَ لزمانٍ، وعملنا لغيره. فقال: يا أمير المؤمنين! إن الحقَّ لا ينقلُه الزمانُ عن مواضعه، ولا يغيرُهُ عن وجهه. قال: أحسبُكَ يا بن أبي ذئب طعَّانًا على السلطان؟ قال: لا تقلْ ذلك يا أمير المؤمنين، فوالذي يُمسِكُ السماءَ أن تقع على الأرض إلا بإذنه، لَصلاحُكَ أحبُّ إليَّ من صلاح نفسي، وذاك أنَّ صلاحي لنفسي لا يَعْدوها، وصلاحك لجميع المسلمين. قال: فأطرق أبو جعفر، وإن المسيب والحرس قيامٌ على رأسه بأيديهم السيوفُ المسللةُ. قال: ثم رفع رأسه، وقال: من أراد أن ينظر إلي خير أهل الأرض اليومَ، فلينظرْ إلى هذا الشيخ -وأومأ إلي ابن أبي ذئب-. قال: فقلتَ في نفسي: أشهدُ أن الله ولِيُّ الذين آمنوا، وهو منجي المتقين. «السير(٧/ ١٤٣-١٤٤)».

مالك بن أنس - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

قال أبو حاتم الرازي- رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: حدثنا عبدالمتعال بن صالح من أصحاب مالك، قال: قيل لمالك: إنك تدخل على السلطان، وهم يظلمون، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلم بالحق. «السير(٨/ ١١١)».

سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: دَخَلَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ عَلَى مَعْنِ بنِ زَائِدَةَ -يَعْنِي أَمِيْرَ

اليَمَنِ- وَلَمْ يَكُنْ سُفْيَانُ تَلَطَّخَ بَعْدُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمرِ السُّلْطَانِ، فَجَعَلَ يَعِظُهُ. «السير(٨/ ٤٥٩)» .

ابْنُ السَّمَّاكِ أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ صَبِيْحٍ العِجْلِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الزَّاهِدُ، القُدْوَةُ، سَيِّدُ الوُعَّاظِ، أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ صَبِيْحٍ.

دَخَلَ ابْنُ السَّمَّاكِ عَلَى الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ تَكَلَّمَ وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الدُّخُول إِلَيْك فَغَضِبَ الرَّشِيدُ وَقَالَ: لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْت أَوْ لَأَفْعَلَنَّ بك وَأَصْنَعَن قَالَ: أَنْتَ وَلِيُّ اللَّهِ فِي عِبَادِه فَإِنْ أَنَا لَمْ أَنْصَحْ لَكَ فِيهِمْ وَأَصْدُقْكَ عَنْهُمْ خِفْتُ اللَّهَ - عَزَّوَجَلَّ - فِي ذَلِكَ اتَّقِ اللَّهَ فِي رَعِيَّتِك، وَخَفْ الْمَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ -عَزَّوَجَلَّ- ، لَمْ أَرَ أَحْسَن مِنْ وَجْهِك فَلَا تُجَمِّلْهُ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا.«الآداب الشرعية(١/ ١٧٦)» .

سفيان بن سعيد الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عَنْ سُفْيَانَ الثوري- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قَالَ: أُدْخِلْتُ عَلَى المَهْدِيِّ بِمِنَىً، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالإِمْرَةِ. فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! طَلَبْنَاكَ، فَأَعجَزْتَنَا، فَالحَمْدُ للهِ الَّذي جَاءَ بِكَ، فَارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ. فَقُلْتُ: قَدْ مَلأتَ الأَرْضَ ظُلْماً وَجَوْراً، فَاتَّقِ اللهَ، وَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ عِبرَةً. فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيتَ إِنْ لَمْ أَستَطِعْ دَفْعَهُ؟ قَالَ: تُخَلِّيهِ وَغَيْرَكَ. فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ .

قُلْتُ: أَبْنَاءُ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ بِالبَابِ، فَاتَّقِ اللهَ، وَأَوْصِلْ إِلَيْهِم حُقُوقَهُم.

فَطَأْطَأَ رَأْسَه، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ.

قُلْتُ: وَمَا أَرْفَعُ؟ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: حَجَّ عُمَرُ، فَقَالَ

لِخَازِنِه: كَمْ أَنفَقْتَ؟ ، قَالَ: بَضْعَةَ عَشَرَ دِرْهَماً، وَإِنِّيْ أَرَى هَا هُنَا أُمُوْراً لاَ تُطِيْقُهَا الجِبَالُ. «السير(٧/ ٢٦٤-٢٦٥)» .

الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عَنْ فُضَيْلِ بن عِيَاضٍ، قَالَ: لَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ هَارُوْنُ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، قُلْتُ: يَا حَسَنَ الوَجْه! لَقَدْ كُلِّفْتَ أَمْراً عَظِيْماً، أَمَا إِنِّيْ مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَحْسَنَ وَجْهاً مِنْكَ، فَإِنْ قَدِرْتَ أَنْ لاَ تُسَوِّدَ هَذَا الوَجْهَ بِلَفْحَةٍ مِنَ النَّارِ، فَافْعَلْ.

قَالَ: عِظْنِي.

قُلْتُ: بِمَاذَا أَعِظُكَ؟ هَذَا كِتَابُ الله بَيْنَ الدَّفَّتَيْن، انْظُرْ مَاذَا عَمِلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ بِمَنْ عَصَاهُ، إِنِّيْ رَأَيْتُ النَّاسَ يَغُوصُونَ عَلَى النَّارِ غَوْصاً شَدِيْداً، وَيَطْلُبُوْنَهَا طَلَباً حَثِيثاً، أَمَا وَالله، لَوْ طَلَبُوا الجَنَّةَ بِمِثْلِهَا، أَوْ أَيسَرَ، لَنَالُوْهَا.

وَقَالَ: عُدْ إِلَيَّ. فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ، لَمْ آتِكَ، وَإِنِ انْتَفعتَ بِمَا سَمِعْتَ، عُدْتُ إِلَيْكَ. «السير(٨/ ٤٣٥-٤٣٦)».

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وَكَانَ يَعِيْشُ مِنْ صِلَةِ ابْنِ المُبَارَكِ، وَنَحْوِهُ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، وَيَمتَنِعُ مِنْ جَوَائِزِ المُلُوْكِ. «السير(٨/ ٤٤٢)» .

ثالثاً: منهم من دخل عليهم شافعاً لغيره:

عطاء بن أبي رباح -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قَالَ الأَصْمَعِيُّ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: دَخَلَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ عَلَى عَبْدِ المَلِكِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى السَّرِيْرِ، وَحَوْلَهُ الأَشْرَافُ، وَذَلِكَ بِمَكَّةَ، فِي وَقْتِ حَجِّهِ فِي خِلاَفَتِه، فَلَمَّا بَصُرَ بِه عَبْدُ المَلِك، قَامَ إِلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيْرِ، وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، حَاجَتَكَ؟ .

قَالَ: يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ! اتَّقِ اللهَ فِي حَرَمِ اللهِ، وَحَرَمِ رَسُوْلِهِ، فَتَعَاهَدْهُ بِالعِمَارَةِ، وَاتَّقِ اللهَ فِي أَوْلاَدِ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنَّكَ بِهِم جَلَسْتَ هَذَا المَجْلِسَ، وَاتَّقِ اللهَ فِي أَهْلِ الثُّغُوْرِ، فَإِنَّهُم حِصْنُ المُسْلِمِيْنَ، وَتَفَقَّدْ أُمُوْرَ المُسْلِمِيْنَ، فَإِنَّكَ وَحْدَكَ المَسْؤُوْلُ عَنْهُم، وَاتَّقِ اللهَ فِيْمَنْ عَلَى بَابِكَ، فَلاَ تَغْفُلْ عَنْهُم، وَلاَ تُغْلِقْ دُوْنَهُم بَابَكَ.

فَقَالَ لَهُ: أَفْعَلُ. ثُمَّ نَهَضَ، وَقَامَ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ عَبْدُ المَلِك، وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّد! إِنَّمَا سَأَلْتَنَا حَوَائِجَ غَيْرِكَ، وَقَدْ قَضَيْنَاهَا، فَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: مَا لِي إِلَى مَخْلُوْقٍ حَاجَةٌ. ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ: هَذَا - وَأَبِيْكَ - الشَّرَفُ، هَذَا - وَأَبِيْكَ - السُّؤْدُدُ. «السير (٥/ ٨٥)» .

قِيْلَ: دَخَلَ ابْنُ السَّمَّاكِ عَلَى رَئِيْسٍ فِي شَفَاعَةِ لِفَقِيْرٍ، فَقَالَ: إِنِّيْ أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ، وَالطَّالِبُ وَالمُعْطِي عَزِيْزَانِ إِنْ قُضِيَتِ الحَاجَةُ، ذَلِيْلاَنِ إِنْ لَمْ تُقْضَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ عِزَّ البَذْلِ عَنْ ذُلِّ المَنْعِ، وَعِزَّ النُّجْحِ عَلَى ذُلِّ الرَّدِّ. «السير (٨/ ٣٢٩)».

رابعاً: منهم من دخل عليهم ولكنه لم يعمل لهم ولا طامعاً فيهم:

مِسْعَرُ بنُ كِدَام بنِ ظُهَيْرِ بنِ عُبَيْدَةَ الهِلاَلِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإِمَامُ، الثَّبْتُ، شَيْخُ العِرَاقِ، أَبُو سَلَمَةَ الهِلاَلِيُّ، الكُوْفِيُّ، الأَحْوَلُ، الحَافِظُ.

قال الذهبي: قَالَ أَبُو مُسْهِر: حَدَّثَنَا الحَكَمُ بنُ هِشَام، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، قَالَ:

دَعَانِي أَبُو جَعْفَرٍ لِيُوَلِّيَنِي، فَقُلْتُ: إِنَّ أَهْلِي يَقُوْلُوْنَ: لاَ نَرْضَى اشْتِرَاءَكَ لَنَا فِي شَيْءٍ بِدِرْهَمَيْنِ، وَأَنْتَ تُوَلِّيْنِي؟! - أَصْلَحَكَ اللهُ - إِنَّ لَنَا قَرَابَةً وَحَقّاً.

قَالَ: فَأَعْفَاهُ. «السير (٧/ ١٦٥)».

وأثنى رجل على مسعر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - فقال: تثني عليّ وأنا أبني الآجر وأقبض جوائز السلطان؟ «الحلية (٢/ ٤٢١)».

عَبْدُ اللهِ بنُ عَوْنِ بن أَرْطَبَانَ المُزَنيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإِمَامُ، القُدْوَةُ، عَالِمُ البَصْرَةِ، أَبُو عَوْنٍ المُزَنِيُّ مَوْلاَهُم، البَصْرِيُّ، الحَافِظُ.

قال الذهبي: قَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ عَوْنٍ يَذْكُرُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى سَلْمِ بنِ قُتَيْبَةَ، وَهُوَ أَمِيْرٌ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم، لَمْ يَزِدْ.

فَضَحِكَ سَلْمٌ، وَقَالَ: نَحتمِلُهَا لابْنِ عَوْنٍ -يَعْنِي: أَنَّهُ مَا سَلَّمَ بِالإِمْرَةِ-.

وَلَقَدْ كَانَ ابْنُ عَوْنٍ بِخَيْرٍ، مُوسَعاً عَلَيْهِ فِي الرِّزقِ. «السير(٦/ ٣٧٠)».

خامساً: منهم من دخل عليهم منكراً لما هم عليه:

سُفْيَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، إِمَامُ الحُفَّاظِ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ فِي زَمَانِهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الثَّوْرِيُّ، الكُوْفِيُّ، المُجْتَهِدُ.

قال الذهبي: قال سفيان الثوري: لما حج المهدي قال: لا بد لي من سفيان. فوضعوا لي المرصد حول البيت فأخذوني بالليل، فلما مثلت بين يديه أدناني ثم قال: لأي شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمورنا، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه؟ فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟ قال: لا أدري لي أمناء ووكلاء. قلت: فما عذرك غداً إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكن عمر بن الخطاب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- لما حج قال لغلامه: كم أنفقنا في سفرتنا هذه؟ فقال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً. فقال: ويحك، أجحفنا بيت مال المسلمين! .

وقال الزهري: ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات، فيهن صلاح دينك

وملكك وآخرتك ودنياك. قال: ما هن؟ قال: لا تعد أحداً عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهلاً إذا كان المنحدر وعراً، واعلم أن للأعمال جزاء فاحذر العواقب، وللدهر ثورات فكن على حذر.

ابن السماك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

ولما دخل ابن السماك على هارون قال له: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك، فلا ترض من نفسك إلا ما رضي به عنك، فإنك ابن عم رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأولى الناس بذلك. يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقاً أن يعتق نفسه. يا أمير المؤمنين من أذاقته الدنيا حلاوتها بركون منه إليها، أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها.

يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض، وقد دعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك، وإنك لا تقدم إلا على حالة نادم مشغول، ولا تخلف إلا مفتوناً مغروراً، وإنك وإيانا لفي دار سفر وجيران ظعن.

ولما حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال: بم أتكلم؟ فقال: في الخروج من هذا الأمر. قال: يسيران أنت فعلته. قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ولا تضعها إلا في أهلها. قال: ومن يقوى على ذاك؟ قال: من قلده الله من الأمر ما قلدك. قال: عظني يا أبا حازم. قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك. ثم قال: يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. يا أمير المؤمنين إنما

أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر، فاختر لنفسك أيهما شئت.

قال: فما لك لا تأتينا؟، قال: وما أصنع بإتيانك؟، إن أدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني أحزنتني، وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له. قال: فارفع إلي حوائجك. قال: قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها، فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت، يقول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله، أو يزيد في قليل ما قسم الله؟ قال: فبكى سليمان بكاء شديداً فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين! فقال له أبو حازم: اسكت! فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. ثم خرج من عنده فلما وصل إلى منزله بعث إليه بمال فرده وقال للرسول: قل له يا أمير المؤمنين، والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي. «سراج الملوك(٢٩-٣٠)» .

سادساً: منهم من دخل عليهم مضطراً لذلك مكرها عليه:

قال عمر بن حسين : ما أدركت قاضياً استقضي بالمدينة إلا كآبة القضاء وكراهيته في وجهه إلا قاضيين سماهما .

قال محمد بن رشد : المعنى في هذه الحكاية بين ، لأن القضاء محنة ومن دخل فيه فقد ابتلى بعظيم ، لأنه قد عرض نفسه للهلاك إذ التخلص منه على من ابتلى به عسير ، روي عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال : « وددت أني أنجو من هذا الأمر كفافاً لا لي ، ولا علي» وروي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-أنه قال : « من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين » . وقال أبو قلابة : مثل القاضي العالم

كالسابح في البحر ، فكم عسى أن يسبح حتى يغرق ، وأحق ما اغتم به المسلم وبدت الكراهة والكآبة فيه عليه ما علم أنه مرتهن به ، ومسؤول عنه ، ومشدد عليه المسألة فيه . روي أنه « ما من قاض يأتي يوم القيامة إلا ويداه مغلولتان إلى عنقه فلا يحلهما إلا عدله» وقال رسول الله : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته» الحديث وبالله التوفيق . «البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (٩/ ١٨٨)» .

قال ابن عبد الهادي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

وكان شرفُ الدين بنُ عيدٍ في زمننا حَلَفَ عند قبر النبيِّ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أن لا يلي القضاء، ثمّ أكرهه السّلطان عليه.

وكان قوامُ الدين الحنفيُّ امتنعَ منه، ثمّ أكره عليه.

وأكره شيخنا ابنَ قندس عليه، وحلف عليه، فولي يوماً، ثمّ عزل لفتنته.

وامتنع منه القاضي شهابُ الدين بنُ الباعونيِّ حتّى أُجيب إلى كلّ ما شرط عليهم.

وامتنع منه ولدهُ شيخنا الشّيخُ برهان الدين.

وأما ذوو الرغبة فيه والبرطيل عليه في زمننا، فكثير ممن لا يصلح له، لا بالعلم ولا بالدين، فلا كَثَّرَ اللهُ في الإسلام من أمثالهم.

وقد ذكر عن شيخ الإسلام شمس الدين بن أبي عمَر –وهو أولُ حنبليٍّ ولي دمشق–: أنّه امتنعَ منه الامتناع الكلي، حتّى قال السلطان: إما أن يلي، وإما أن يتحوَّلَ من بلادي، وأنه كان عزمَ على التحوُّل، وأنه ترامى عليه أصحابُه وأهلُه وإخوانُه، وقالوا: هذا أمر لا يحصُل به إلا الخيرُ، وإن كان قصدُك الخيرَ، حصل لك به من العدل، وإعانة الملهوف، وغير ذلك، فولي.

وله في ولايته الحكايات العجيبة. ثمّ لما مات، أوصى أن لا يُدفن عند أبيه؛ لأنه ولي القضاء، ويخاف أن يشوش عليهم، ودُفن خلف الحائط.

وله في ولايته الحكايات العجيبة. ثمّ لما مات، أوصى أن لا يُدفن عند أبيه؛ لأنه ولي القضاء، ويخاف أن يشوش عليهم، ودُفن خلف الحائط.

ولما ولي صالحُ بنُ الإمام أحمدَ قضاءَ سمرقندَ، ودخل إليها، واجتمع عليه علماؤها، وقرئ عهدُه، أخذه البكاءُ الشديدُ والإنتحابُ، فظنّ الفقهاءُ والعلماءُ أن ذلك لفراق أهله وبلاده، فأخذوا يُسلّونه عند ذلك، وأنّها بلادٌ جيدة، وبها العلماءُ والأجواد، والخير الكثير، فقال: والله! ليس بكائي لذلك، فقالوا: فلأيِّ شيء هو؟ فقال: إنما هو لأن أبي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - كان يَعِزُّ عليه أن يراني بهذا المجلس.

وحضرنا مرةً عند قانصوه نائب دمشق، فقال بعضُ الإخوان له: أَمْس جاءنا إلى الصالحية: أن القاضيَ الحَنبليَّ ولّى الشيخَ، وخلع عليه خِلْعة، فقالَ لي: حَقٌّ هذا؟ فقلت: لا، ما فعلتُه ولا أفعلُه، فقال: إنّما هلك. وأوصيك على خمسة أشياء قطّ لا تفعلْها، فقلت: وما هي؟ فقال: أولُها: لا تضمنَنَّ أحداً، فقلتُ: نعم، وأنا حالفٌ على هذا أن لا أفعله.

فقلت: والثاني؟ ، فقال: لا تعملنَّ وكيلاً لأحد، فقلت: نعم.

والثالث؟ ، فقال: لا تَلِيَنَّ قاضياً، فقلت: نعم.

والرابع؟ فقال: والرابع: لا تتكلمنَّ في نجس قطّ، ولا تشفعنَّ فيه، فقلت: هذه لا؛ فإنّ الشفاعة إنّما تقع في المذنب والنجس، والجيدُ لا يحتاج إلى شفاعة، وشفاعةُ النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم القيامة إنما هي في المذنبين، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، عجزتُ وأنا أقول له: لا تتكلم في نجس، وهو لا يقبل، ولا

يسمع مني ذلك.

ووقع الكلام بيننا في ذلك وطال، ولم يقلِ الخامس.

وقد طُلِب بعضُ السلف للقضاء، فخرج مجنوناً حتى تُرك، فلامه بعض إخوانه على ذلك، فقال له: هذا عقلك يا فلان.

وقد صار في زماننا جَهَلَةٌ فسقةٌ كذبةٌ خونةٌ، لهم رغبة في القضاء، يطلبونه، ويأخذون أموالَ الفقراء والمساكين وطلبةِ العلم، وقد عطّلوا المساجدَ والمدارس، وخرّبوها، وأعْرَوها من حُصُرٍ وبُسُطٍ، ومنعوا طلبةَ العلم من العلم، بأخذِ أوقافِهم، والبرطيلِ بها، فصدّوا عن العلم، وعن الخير. «إيضاح طرق الاستقامة(٢٥٥-٢٥٨)».

الحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوْسُفَ الأُمَوِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الفَقِيْهُ، المُحَدِّثُ، الثَّبْتُ، قَاضِي القُضَاةِ بمصْرَ، أَبُو عَمْرٍو، مَوْلَى زَبَّانَ ابنِ الأَمِيْرِ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ مَرْوَانَ، الأُمَوِيُّ، المِصْرِيُّ.

قال الذهبي: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ: كَانَ فَقِيْهاً، ثِقَةً، ثَبْتاً، حَمَلَهُ المَأْمُوْنُ إِلَى بَغْدَادَ فِي المِحْنَةِ، وَسَجَنَهُ، فَلَمْ يُجِبْ، فَمَا زَالَ مَحْبُوْساً بِبَغْدَادَ إِلَى أَنْ اسْتُخْلِفَ المُتَوَكِّلُ، فَأَطْلَقَهُ، فَحَدَّثَ بِبَغْدَادَ، وَرَجَعَ إِلَى مِصْرَ مُتَوَلِّياً قَضَاءَ مِصْرَ، ثُمَّ اسْتَعْفَى مِنَ القَضَاءِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، فَأُعْفِيَ.... وَقَالَ يُوْسُفُ بنُ يَزِيْدَ القَرَاطِيْسِيُّ: قَدِمَ المَأْمُوْنُ مِصْرَ، وَبِهَا مَنْ يَتَظَلَّمُ مِنْ عَامِلَيْهِ: إِبْرَاهِيْمَ بنِ تَمِيْمٍ، وَأَحْمَدَ بنِ أَسْبَاطٍ.

فَجَلَسَ الفَضْلُ بنُ مَرْوَانَ الوَزِيْرُ فِي الجَامِعِ، وَاجْتَمَعَ الأَعْيَانُ، وَأُحْضِرَ الحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنٍ لِيُوَلَّى القَضَاءَ، فَبَيْنَا الفَضْلُ يُكَلِّمُهُ، إِذْ قَالَ لَهُ مُتَظَلِّمٌ: سَلْهُ - أَصْلَحَكَ اللهُ - عَنِ ابْنِ تَمِيْمٍ وَابْنِ أَسْبَاطٍ.

فَقَالَ: لَيْسَ لِذَا حَضَرَ.

قَالَ: أَصْلَحَكَ اللهُ، سَلْهُ.

قَالَ: مَا تَقُوْلُ فِيْهِمَا؟.

فَقَالَ: ظَالِمَيْنِ غَاشِمَيْنِ..

قَالَ: فَاضْطَرَبَ المَسْجِدُ، فَقَامَ الفَضْلُ، فَأَعْلَمَ المَأْمُوْنَ، وَقَالَ: خِفْتُ عَلَى نَفْسِي مِنْ ثَوْرَةِ النَّاسِ مَعَ الحَارِثِ.

فَطَلَبَ الحَارِثَ، وَقَالَ: مَا تَقُوْلُ فِي هَذَيْنِ؟.

قَالَ: ظَالِمَيْنِ غَاشِمَيْنِ..

قَالَ: هَلْ ظَلَمَاكَ بِشَيْءٍ؟.

قَالَ: لاَ.

قَالَ: فَعَامَلْتَهُمَا؟.

قَالَ: لاَ.

قَالَ: فَكَيْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمَا؟.

قَالَ: كَمَا شَهِدْتُ أَنَّكَ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، وَلَمْ أَرَكَ إِلاَّ السَّاعَةَ.

قَالَ: اخْرُجْ مِنْ هَذِهِ البِلاَدِ، وَبِعْ قَلِيْلَكَ وَكَثِيْرَكَ.

وَحَبَسَهُ فِي خَيْمَةٍ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى البَشْرُوْدِ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ، فَلَمَّا فَتَحَ البَشْرُوْدَ، طَلَبَ الحَارِثَ، وَسَأَلَهُ عَنِ المَسْأَلَةِ الَّتِي سَأَلَهُ عَنْهَا بِمِصْرَ، فَرَدَّ الجَوَابَ بِعَيْنِهِ.

قَالَ: فَمَا تَقُوْلُ فِي خُرُوْجِنَا؟.

قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ القَاسِمِ، عَنْ مَالِكٍ، أَنَّ الرَّشِيْدَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ قِتَالِهِم،

فَقَالَ: إِنْ كَانُوا خَرَجُوا عَنْ ظُلْمٍ مِنَ السُّلْطَانِ، فَلاَ يَحِلُّ قِتَالُهُم، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا شَقُّوا العَصَا، فَقِتَالُهُم حَلاَلٌ.

فَقَالَ: أَنْتَ تَيْسٌ، وَمَالِكٌ أَتْيَسُ مِنْكَ، ارْحَلْ عَنْ مِصْرَ.

قَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، إِلَى الثُّغُوْرِ؟، قَالَ: بَلْ بِمَدِيْنَةِ السَّلاَمِ.

قَالَ أَبُو يَزِيْدَ القَرَاطِيْسِيُّ: فَأَقَامَ الحَارِثُ بِبَغْدَادَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَطْلَقَهُ الوَاثِقُ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ، فَرَجَعَ إِلَى مِصْرَ.

وَقَالَ ابْنُ قُدَيْدٍ: أَتَاهُ -يَعْنِي: الحَارِثَ- فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلاَثِيْنَ كِتَابُ تَوَلِّيهِ القَضَاءَ وَهُوَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَامْتَنَعَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ إِخْوَانُهُ حَتَّى قَبِلَ، فَقَدِمَ مِصْرَ، فَجَلَسَ لِلْحُكْمِ، وَأَخْرَجَ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيْفَةَ وَالشَّافِعِيِّ مِنَ المَسْجِدِ، وَأَمَرَ بِنَزْعِ حُصُرِهِم مِنَ العُمُدِ، وَقَطَعَ عَامَّةَ المُؤَذِّنِيْنَ مِنَ الأَذَانِ، وَأَصْلَحَ سَقْفَ المَسْجِدِ، وَبَنَى السِّقَايَةَ، وَلاَعَنَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ، وَمَنَعَ مِنَ النِّدَاءِ عَلَى الجَنَائِزِ، وَضَرَبَ الحَدَّ فِي سَبِّ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ، وَقَتَلَ سَاحِرَيْنِ.«أنظر ترجمته: السير(١٢/ ٥٤)».

أَبُو بكر الدَّامغَاني الْأَنْصَارِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

وَكَانَ أَقَامَ على الطَّحَاويّ سنين كَثِيرَة ثمَّ أَقَامَ على أبي الْحسن وَكَانَ إِمَامًا فِي الْعلم وَالدّين مشارا إِلَيْهِ فِي الْوَرع والزهادة ولى الْقَضَاء بواسط لِأَنَّهُ ركبته دُيُون وَخرج إِلَيْهَا فَحدثنِي الشَّيْخ أَبُو الْقَاسِم عَليّ بن مُحَمَّد الوَاسِطِيّ أَنه كَانَ ينظر بَين الْخُصُوم على وَجه التَّحْكِيم كَانَ يَقُول لِلْخَصْمَيْنِ أنظر بَيْنكُمَا فَإِذا قَالَا نعم نظر بَينهمَا وَرُبمَا قَالَ حكمتماني فَإِذا قَالَا نعم نظر بَينهمَا وَكَانَ عِنْد أَصْحَابنَا أَنه غض من نَفسه - أي: نزلت مكَانته ومنزلته عندهم - بولايته للْحكم. «أخبار أبي حنيفة(١٧٠)» .

سابعاً: ومنهم عمل لهم دون أجرة.

مسروق بن الأجدع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قَالَ عَلِيُّ بنُ الجَعْد: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بنِ مُحَمَّد بنِ الْمُنْتَشِر، عَنْ أَبِيْه: أَنَّ مَسْرُوْقاً كَانَ لاَ يَأْخُذُ عَلَى القَضَاء أَجْراً، وَيَتَأَوَّلُ هَذِه الآيَةَ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١]. «السير(٤/ ٦٨)».

عَنِ الْقَاسِمِ قَالَ: كَانَ مَسْرُوقٌ لا يَأْخُذُ عَلَى الْقَضَاءِ رِزْقًا. «الطبقات لابن سعد(٦/ ١٤٤)».

وعَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ شَقِيق قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَسْرُوق بالسِّلْسِلَة سَنَتَيْنِ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُرِيدُ بذَلِكَ السُّنَّةَ. قَالَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا عَمِلْتُ عَمَلا قَطُّ أَخْوَفَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُدْخِلَنِي النَّارَ مِنْ عَمَلِي هَذَا. وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَصَبْتُ دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا وَلا ظَلَمْتُ مُسْلِمًا وَلا مُعَاهَدًا وَلَكِنْ لا أَدْرِي مَا هَذَا الْحَبْلُ الَّذِي لَمْ يَسُنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلا أَبُو بَكْرٍ وَلا عُمَرُ. قَالَ قُلْتُ: فَمَا رَدُّكَ عَلَيْهِ وَقَدْ كُنْتَ تَرَكْتَهُ؟ قَالَ: اكْتَنَفَنِي زِيَادٌ وَشُرَيْحٌ وَالشَّيْطَانُ فَلَمْ يَزَالُوا يُزَيِّنُونَهُ لِي حَتَّى أَوْقَعُونِي فيه. «الطبقات لابن سعد(٦/ ١٤٤)».

ابن أم شيبان الهاشمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

لا أعلم هاشميا ولي قضاء بغداد غيره، وجمع له معها قضاء مصر وبعض الشام يعني: فبعث نوابه إليها، وقد صرف لحكومة صمم فيها لله، ولم يأخذ رزقا على القضاء، ولا لبس لهم خلعة، وطلب لكاتب حكمه ولحاجبه معلوما،

وكذلك للأمناء والأعوان، فقرر للكل في الشهر ألف درهم ومئة وخمسون درهما.

وقال ابن أبي الفوارس: كان نبيلا فاضلا، ما رأينا في معناه مثله، وفي الصدق نهاية.«السير(١٦/ ٢٢٦)».

ثامناً: ومنهم من دخل عليهم طامعاً فيهم وأنكر عليهم العلماء:

أَزْهَرُ بنُ سَعْد أَبُو بَكْر البَاهِليُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإِمَامُ، الحَافِظُ، الحُجَّةُ، النَّبِيْلُ، أَبُو بَكْرٍ البَاهِلِيُّ مَوْلاَهُمْ، البَصْرِيُّ، السَّمَّانُ.

أخرج له البخاري ومسلم. وَلَمَّا احْتُضِرَ ابْنُ عَوْنٍ، أَوْصَى لَهُ، وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ العِلْمِ.

قال الذهبي: قَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ عَلِيٍّ المَرْوَزِيُّ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: لَيْسَ فِي أَصْحَابِ ابْنِ عَوْنٍ أَعْلَمُ مِنْ أَزْهَرَ.

قِيْلَ: إِنَّهُ كَانَ صَاحِباً لِلْمَنْصُوْرِ أَبِي جَعْفَرٍ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الخِلاَفَةَ، فَلَمَّا وَلِيَ، قَدِمَ إِلَيْهِ أَزْهَرُ مُهَنِّئاً لَهُ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَقُوْلُوا لَهُ: لاَ تَعُدْ.

فَأَخَذَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ مِنْ قَابِلٍ، فَحَجَبُوْهُ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فِي المَجْلِسِ العَامِّ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟.

قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّكَ مَرِيْضٌ، فَجِئْتُ أَعُوْدُكَ.

فَقَالَ: أَعْطُوهُ أَلْفَ دِيْنَارٍ، قَدْ قَضَيْتَ حَقَّ العِيَادَةِ، فَلاَ تَعُدْ، فَإِنِّي قَلِيْلُ الأَمْرَاضِ.

قَالَ: فَعَادَ مِنْ قَابِلٍ، وَدَخَلَ فِي مَجْلِسٍ عَامٍّ، فَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ؟.

قَالَ: دُعَاءٌ سَمِعْتُهُ مِنْكَ، جِئْتُ لأَحْفَظَه مِنْكَ.

قَالَ: يَا هَذَا! إِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ، إِنِّيْ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَدْعُو بِهِ أَنْ لاَ تَأْتِيَنِي، وَأَنْتَ تَأْتِيْنِي. «السير(٩/ ٤٤٢)».

وزعم عبد الدائم في «حلى العلى» أن هذه جرت للمنصور مع رجل اسمه أزهر، قال: وليس هو بالسمان المحدث.«أكمال تهذيب الكمال(٢/ ٤٥)».

المبحث السادس عشر

رد العلماء على من دخل على الأمراء

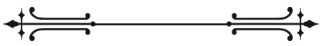

الزهري محمد بن مسلم القرشي وأبو حازم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قلت: وقد أنكر عليه أبو حازم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – كما ذكر ابن عبد البر فقال: قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ أَبُو حَازِمٍ، وَجَدْتُ الدُّنْيَا شَيْئَيْنِ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ سُفْيَانُ فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: إِنَّهُ جَارِي مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ هَذِهِ عِنْدَهُ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: «لَوْ كُنْتُ غَنِيًّا لَعَرَفْتَنِي، إِنَّ الْعُلَمَاءَ كَانُوا يَفِرُّونَ مِنَ السُّلْطَانِ وَيَطْلُبُهُمْ وَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ يَأْتُونَ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ، وَالسُّلْطَانُ يَفِرُّ مِنْهُمْ». «جامع بيان العلم وفضله(١/ ٦٣٥)».

عن عمرو بن دينار، قال: ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري، وما رأيت أحدا أهون عنده الدراهم منه، كانت عنده بمنزلة البعر. «السير (٥/ ٣٣٤)».

حماد بن سلمة وابن عليه -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

قَالَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ: مَا كُنَّا نُشَبِّهُ شَمَائِلَ إِسْمَاعِيْلَ ابْنِ عُلَيَّةَ إِلاَّ بِشَمَائِلِ يُوْنُسَ، حَتَّى دَخَلَ فِيْمَا دَخَلَ فِيْهِ.

قُلْتُ«أي الذهبي»: يُرِيْدُ ولاَيَتَه الصَّدَقَةَ، وَكَانَ مَوْصُوْفاً بالدِّيْنِ، وَالوَرَعِ، وَالتَأَلُّهِ، مَنْظُوْراً إِلَيْهِ فِي الفَضْلِ وَالعِلْمِ، وَبَدَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ خَفِيْفَةٌ، لَمْ تُغَيِّرْ رُتْبَتَهُ – إِنْ شَاءَ الله –. «السير(١٧/ ١١٥)».

إسماعيل بن علية وعبد الله بن المبارك -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- :

عن مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْبَصْرِيُّ قَالَ: لَمَّا وَلِيَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ الْعُشُورَ أَوْ قَالَ: عَلَى الصَّدَقَاتِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ يَسْتَمِدُّهُ بِرِجَالٍ مِنَ الْقُرَّاءِ يُعِينُونَهُ عَلَى ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ :

«البحر السريع»

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيًّا ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ

احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ

فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيمَا مَضَى ... عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينِ

وَدَرْسُكَ الْعِلْمَ بِآثَارِهِ ... وَتَرْكُكَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ

تَقُولُ أُكْرِهْتُ فَمَاذَا كَذَا ... زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ

«السير(٨/ ٤١٢) جامع بيان العلم وفضله(١/ ٦٣٧)».

قَالَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ: مَا كُنَّا نُشَبِّهُ شَمَائِلَ إِسْمَاعِيْلَ ابْنِ عُلَيَّةَ إِلاَّ بِشَمَائِلِ يُوْنُسَ، حَتَّى دَخَلَ فِيْمَا دَخَلَ فِيْهِ.

قال الذهبي: يُرِيْدُ ولاَيَتَه الصَّدَقَةَ، وَكَانَ مَوْصُوْفاً بالدِّيْنِ، وَالوَرَعِ، وَالتَأَلُّهِ، مَنْظُوْراً إِلَيْهِ فِي الفَضْلِ وَالعِلْمِ، وَبَدَتْ مِنْهُ هَفَوَاتٌ خَفِيْفَةٌ، لَمْ تُغَيِّرْ رُتْبَتَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ. «السير(٩/ ١١٠)».

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قَالَ عُبَيْدُ اللهِ العَيْشِيُّ: حَدَّثَنَا الحَمَّادَانِ:

أَنَّ ابْنَ المُبَارَكِ كَانَ يَتَّجِرُ، وَيَقُوْلُ: لَوْلاَ خَمْسَةٌ مَا تَجِرْتُ: السُّفْيَانَانِ، وَفُضَيْلُ

بنُ عِيَاضٍ، وَابْنُ السَّمَّاكِ، وَابْنُ عُلَيَّةَ، فَيَصِلُهُم.

فَقَدِمَ ابْنُ المُبَارَكِ سَنَةً، فَقِيْلَ لَهُ: قَدْ وَلِيَ ابْنُ عُلَيَّةَ القَضَاءَ، فَلَمْ يَأْتِه، وَلَمْ يَصِلْهُ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُلَيَّةَ، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْساً، فَانْصَرَفَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللهِ رُقعَةً يَقُوْلُ: قَدْ كُنْتُ مُنْتَظِراً لِبِرِّكَ، وَجِئْتُكَ فَلَمْ تُكَلِّمْنِي، فَمَا رَأَيْتَ مِنِّي؟.

فَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: يَأْبَى هَذَا الرَّجُلُ إِلاَّ أَنْ نُقَصِّرَ لَهُ العَصَا.

ثُمَّ كتب إِلَيْهِ:

يَـا جَـاعِـلَ الْـعِـلْـمِ لَـهُ بَـازِيًّـا يَـصْـطَـادُ أَمْـــوَالَ الْـمَـسَـاكِـيـنِ

الأَبْيَاتُ المَذْكُوْرَةُ. فَلَمَّا قَرَأَهَا، قَامَ مِنْ مَجْلِسِ القَضَاءِ، فَوَطِئَ بِسَاطَ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ، وَقَالَ: الله الله، ارْحَمْ شَيْبَتِي، فَإِنِّي لاَ أَصْبِرُ عَلَى الخَطَأِ.

فَقَالَ: لَعَلَّ هَذَا المَجْنُوْنَ أَغرَى عَلَيْكَ.

ثُمَّ أَعفَاهُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ ابْنُ المُبَارَكِ بِالصُّرَّةِ.

هَذِه حِكَايَةٌ مُنْكَرَةٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّ العَيْشِيَّ يَرويهَا عَنِ الحَمَّادَيْنِ، وَقَدْ مَاتَا قَبْلَ هَذِهِ القِصَّةِ بِمُدَّةٍ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَدْرَجَه العَيْشِيُّ. «السير(٩/ ١١٧)».

ابن القاسم ورجل من العلماء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قَالَ الطَّحَاوِيُّ: بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ القَاسِمِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي فُلاَنٍ عَيْباً إِلاَّ دُخُوْلَهُ إِلَى الحُكَّامِ، أَلاَ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ؟. «السير(٩/ ١٢٢)».

وكيع ابن الجراح وحفص بن غياث -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَامِرٍ المَصِّيْصِيُّ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ:

وَكِيْعٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ؟.

فَقَالَ: وَكِيْعٌ.

قُلْتُ: كَيْفَ فَضَّلتَه عَلَى يَحْيَى، وَيَحْيَى وَمَكَانُه مِنَ العِلْمِ وَالحِفْظِ وَالإِتْقَانِ مَا قَدْ عَلِمْتَ؟.

قَالَ: وَكِيْعٌ كَانَ صَدِيْقاً لِحَفْصِ بن غِيَاث، فَلَمَّا وَلِيَ القَضَاءَ، هَجَرَهُ، وَإِنَّ يَحْيَى كَانَ صَدِيْقاً لِمُعَاذِ بن مُعَاذٍ، فَلَمَّا وَلِيَ القَضَاءَ، لَمْ يَهْجُرْه يَحْيَى.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الوَرَّاقُ: عُرِضَ القَضَاءُ عَلَى وَكِيْعٍ، فَامْتَنَعَ. «السير (٩/ ١٤٤)».

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وَقَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ: قُلْتُ لأَبِي: أَيُّمَا أَثْبَتُ عِنْدَكَ، وَكِيْعٌ أَوْ يَزِيْدُ؟.

فَقَالَ: مَا مِنْهُمَا - بِحَمْدِ الله - إِلاَّ ثَبْتٌ، وَمَا رَأَيْتُ أَوعَى لِلْعِلْمِ مِنْ وَكِيْعٍ، وَلاَ أَشْبَهَ مِنْ أَهْلِ النُّسُكِ مِنْهُ، وَلَمْ يَخْتَلِطْ بِالسُّلْطَانِ. «السير (٩/ ١٤٧)»

قلت: مع أن أباه كان من أعوان السلاطين.

المبحث السابع عشر

نماذج من عفة العلماء عن أموال الأمراء

عفة طاووس بن كيسان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عَبْد الرَّزَّاق: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بنَ الزُّبَيْرِ الصَّنْعَانِيَّ يُحَدِّثُ: أَنَّ مُحَمَّدَ بنَ يُوْسُفَ، أَوْ أَيُّوْبَ بنَ يَحْيَى بَعَثَ إِلَى طَاوُوْسٍ بِسَبْعِ مَائَةِ دِيْنَار، أَوْ خَمْسِ مائَة، وَقِيْلَ لِلرَّسُوْلِ: إِنْ أَخَذَهَا الشَّيْخُ مِنْكَ، فَإِنَّ الأَمِيْرَ سَيُحْسِنُ إِلَيْكَ وَيَكْسُوْكَ.

فَقَدِمَ بِهَا عَلَى طَاوُوْسٍ الجَنَد، فَأَرَادَهُ عَلَى أَخْذِهَا، فَأَبَى، فَغَفِلَ طَاوُوْسٌ، فَرَمَى بِهَا الرَّجُلُ فِي كُوَّةِ البَيْتِ، ثُمَّ ذَهَبَ، وَقَالَ لَهُم: قَدْ أَخَذَهَا.

ثُمَّ بَلَغَهُم عَنْ طَاوُوْسٍ شَيْءٌ يَكْرَهُوْنَهُ، فَقَالَ: ابْعَثُوا إِلَيْهِ، فَلْيَبْعَثْ إِلَيْنَا بِمَالِنَا.

فَجَاءهُ الرَّسُوْلُ، فَقَالَ: المَالَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الأَمِيْرُ إِلَيْكَ.

قَالَ: مَا قَبَضْتُ مِنْهُ شَيْئاً.

فَرَجَعَ الرَّسُوْلُ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ صَادِقٌ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الرَّجُلَ الأَوَّلَ، فَقَالَ: المَال الَّذِي جِئْتُكَ بِهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

قَالَ: هَلْ قَبَضْتُ مِنْكَ شَيْئاً؟.

قَالَ: لاَ.

ثُمَّ نَظَرَ حَيْثُ وَضَعَهُ، فَمَدَّ يَدَهُ، فَإِذَا بِالصُّرَّةِ قَدْ بَنَى العَنْكَبُوْتُ عَلَيْهَا، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِم.

وَبِهِ: قَالَ أَبُو نُعَيْم: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ لِطَاوُوْسٍ: ارْفَعْ حَاجَتَكَ إِلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ -يَعْنِي: سُلَيْمَانَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ-. قَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ.

وحَجَّ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ، فَخَرَجَ حَاجِبُهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ قَالَ: ابْغُوا إِلَيَّ فَقِيْهاً أَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ المَنَاسِكِ.

قَالَ: فَمَرَّ طَاوُوْسٌ، فَقَالُوا: هَذَا طَاوُوْسٌ اليَمَانِيُّ.

فَأَخَذَهُ الحَاجِبُ، فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ.

قَالَ: أَعْفِنِي. فَأَبَى، ثُمَّ أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ.

قَالَ طَاوُوْسٌ: فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَمَجْلِسٌ يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْهُ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ صَخْرَةً كَانَتْ عَلَى شَفِيْرِ جُبٍّ فِي جَهَنَّمَ، هَوَتْ فِيْهَا سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ قَرَارَهَا، أَتَدْرِي لِمَنْ أَعَدَّهَا اللهُ؟.

قَالَ: لاَ، وَيْلَكَ لِمَنْ أَعَدَّهَا؟.

قَالَ: لِمَنْ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي حُكْمِهِ، فَجَارَ.

قَالَ: فَكَبَا بِهَا.

قَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيْلُ: زَعَمَ لِي سُفْيَانُ، قَالَ:

جَاءَ ابْنٌ لِسُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ طَاوُوْسٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَقِيْلَ لَهُ: جَلَسَ إِلَيْكَ ابْنُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ! قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ للهِ عُبَّاداً يَزْهَدُوْنَ فِيْمَا فِي يَدَيْهِ.«سير أعلام النبلاء(٥/ ٤٠-٤٢)بصرف».

عفة القاسم بن محمد بن أبي بكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عن حُمَيْدٌ الطَّوِيْلُ: عَنْ سُلَيْمَانَ بنِ قَتَّةَ، قَالَ:

أَرْسَلَنِي عُمَرُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيُّ إِلَى القَاسِمِ بِخَمْسِ مائَةِ دِيْنَارٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا. «السير (٥/ ٥٩)».

عفة سعيد بن المسيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عن ميمون بن مهران: أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان قدم المدينة، فبعث حاجبه إلى سعيد بن المسيب فقال له: أجب أمير المؤمنين! قال: وما حاجته؟ قال: لتتحدث معه. فقال: لست من حداثه. فرجع الحاجب إليه فأخبره، قال: دعه. «السير (٣٤/ ٢٢٦)».

عفة حماد بن سلمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال البخاري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – في تاريخه: سمعت آدم بن أبي إياس يقول: شهدت حماد بن سلمة ودعاه السلطان فقال: اذهب إلى هؤلاء! لا والله لا فعلت. « أخرجه أبو نعيم(٦/ ٢٥١) في الحلية».

عفة أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإمام العلم والجبل الأشم راوية العلم محدث الإمة وإمام الأئمة.

عن ابن منير: أن سلطان بخاري، بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري يقول: احمل إليَّ كتاب (الجامع) و (التاريخ) لأسمع منك. فقال البخاري لرسوله: (قل له أنا لا أذل العلم، ولا آتي أبواب السلاطين فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضرني في مسجدي أو في داري.« السير(١٢/ ٤٦٤)».

عفة عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الحَافِظُ، الحُجَّةُ، أَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الهَمْدَانِيُّ، السَّبِيْعِيُّ، الكُوْفِيُّ، المُرَابِطُ بِثَغْرِ الحَدَثِ.

قال الذهبي: عَنْ جَعْفَرٍ البَرْمَكِيِّ، قَالَ:

مَا رَأَيْنَا فِي القُرَّاءِ مِثْلَ عِيْسَى بنِ يُوْنُسَ، أَرْسَلَنَا إِلَيْهِ، فَأَتَانَا بِالرَّقَّةِ، فَاعْتَلَّ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍو! قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِعَشْرَةِ آلاَفٍ.

فَقَالَ: هِيه.

قُلْتُ: خَمْسُوْنَ أَلْفاً.

قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيْهَا.

فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ وَاللهِ، لأُهَنِّئَنَّكَهَا، هِيَ -وَاللهِ- مائَةُ أَلْفٍ.

قَالَ: لاَ وَاللهِ، لاَ يَتَحَدَّثُ أَهْلُ العِلْمِ أَنِّي أَكَلْتُ لِلسُّنَّةِ ثَمَناً، أَلاَ كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَيَّ، فَأَمَّا عَلَى الحَدِيْثِ، فَلاَ، وَلاَ شُرْبَةَ مَاءٍ، وَلاَ إِهْلِيْلَجَةً. «السير(٨/ ٤٣٩)».

عفة الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عن حَدَّثَنَا الفَضْلُ بنُ الرَّبِيْعِ، قَالَ:

حَجَّ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ -يَعْنِي: هَارُوْنَ- فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ! قَدْ حَكَّ فِي نَفْسِي شَيْءٌ، فَانْظُرْ لِي رَجُلاً أَسْأَلُهُ.

فَقُلْتُ: هَا هُنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ.

فَقَالَ: امضِ بِنَا إِلَيْهِ.

فَأَتَيْنَاهُ، فَقَرَعتُ بَابَه، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟.

فَقُلْتُ: أَجِبْ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ.

فَخَرَجَ مُسْرِعاً، فَقَالَ: يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ! لَوْ أَرْسَلتَ إِلَيَّ، أَتَيْتُكَ.

فَقَالَ: خُذْ لِمَا جِئْتُكَ لَهُ.

فَحَدَّثَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ دَيْنٌ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ لِي: اقْضِ دَيْنَهُ.

فَلَمَّا خَرَجْنَا، قَالَ: مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئاً.

قُلْتُ: هَا هُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

قَالَ: امضِ بِنَا إِلَيْهِ.

فَأَتَيْنَاهُ، فَقَرَعتُ البَابَ، فَخَرَجَ، وَحَادَثَه سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ دَيْنٌ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَبَا عَبَّاس! اقْضِ دَيْنَهُ.

فَلَمَّا خَرَجْنَا، قَالَ: مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُك شَيْئاً، انْظُرْ لِي رَجُلاً أَسْأَلُهُ.

قُلْتُ: هَا هُنَا الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ.

قَالَ: امْضِ بِنَا إِلَيْهِ.

فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَتْلُو آيَةً يُرَدِّدُهَا، فَقَالَ: اقْرَعِ البَابَ.

فَقَرَعتُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟.

قُلْتُ: أَجِبْ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ.

قَالَ: مَا لِي وَلأَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ؟.

قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! أَمَا عَلَيْكَ طَاعَةٌ؟.

فَنَزَلَ، فَفَتَحَ البَابَ، ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى الغُرفَةِ، فَأَطْفَأَ السِّرَاجَ، ثُمَّ الْتَجَأَ إِلَى زَاوِيَةٍ، فَدَخَلْنَا، فَجَعَلْنَا نَجُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِيْنَا، فَسَبَقَتْ كَفُّ هَارُوْنَ قَبْلِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا لَهَا مِنْ كَفٍّ مَا أَلْيَنَهَا إِنْ نَجَتْ غَداً مِنْ عَذَابِ اللهِ!.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيُكَلِّمَنَّهُ اللَّيْلَةَ بِكَلاَمٍ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبٍ تَقِيٍّ.

فَقَالَ لَهُ: خُذْ لِمَا جِئْنَاكَ لَهُ - رَحِمَكَ اللهُ -.

فَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ لَمَّا وَلِيَ الخِلاَفَةَ، دَعَا سَالِمَ بنَ عَبْدِ اللهِ، وَمُحَمَّدَ بنَ كَعْبٍ، وَرَجَاءَ بنَ حَيْوَةَ، فَقَالَ لَهُم: إِنِّيْ قَدِ ابْتُلِيتُ بِهَذَا البَلاَءِ، فَأَشِيْرُوا عَلَيَّ.

فَعَدَّ الخِلاَفَةَ بَلاَءً، وَعَدَدْتَهَا أَنْتَ وَأَصْحَابَكَ نِعمَةً.

فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ فَصُمِ الدُّنْيَا، وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ مِنْهَا المَوْتَ.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ كَعْبٍ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَلْيَكُنْ كَبِيْرُ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَكَ أَباً، وَأَوْسَطُهُم أَخاً، وَأَصْغَرُهُم وَلَداً، فَوَقِّرْ أَبَاكَ، وَأَكْرِمْ أَخَاكَ، وَتَحَنَّنْ عَلَى وَلَدِكَ.

وَقَالَ لَهُ رَجَاءٌ: إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، فَأَحِبَّ لِلْمُسْلِمِيْنَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُم مَا تَكرَهُ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ مُتْ إِذَا شِئْتَ، وَإِنِّيْ أَقُوْلُ لَكَ هَذَا، وَإِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الخَوْفِ يَوْماً (٢) تَزِلُّ فِيْهِ الأَقْدَامُ، فَهَلْ مَعَكَ - رَحِمَكَ اللهُ - مَنْ يُشِيْرُ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذَا؟

فَبَكَى بُكَاءً شَدِيْداً، حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: ارْفُقْ بِأَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ.

فَقَالَ: يَا ابْنَ أُمِّ الرَّبِيْعِ، تَقْتُلُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُك، وَأَرْفُقُ بِهِ أَنَا.

ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ لَهُ: زِدْنِي - رَحِمَكَ اللهُ -.

قُلْتُ: بَلَغَنِي أَنَّ عَامِلاً لِعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ شُكِيَ إِلَيْهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

يَا أَخِي! أُذَكِّرُكَ طُوْلَ سَهرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، مَعَ خُلُوْدِ الأَبَدِ، وَإِيَّاكَ أَنْ يُنْصَرَفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَكُوْنُ آخِرَ العَهدِ، وَانقِطَاعَ الرَّجَاءِ.

فَلَمَّا قَرَأَ الكِتَابَ، طَوَى البِلاَدَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ؟.

قَالَ: خَلَعتَ قَلْبِي بِكِتَابِكَ، لاَ أَعُوْدُ إِلَى وِلاَيَةٍ حَتَّى أَلْقَى اللهَ.

فَبَكَى هَارُوْنُ بُكَاءً شَدِيْداً.

فَقَالَ: يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ العَبَّاسَ عَمَّ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَمِّرْنِي.

فَقَالَ لَهُ: (إِنَّ الإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَكُوْنَ أَمِيْراً، فَافْعَلْ).

فَبَكَى هَارُوْنُ، وَقَالَ: زِدْنِي.

قَالَ: يَا حَسَنَ الوَجْهِ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ اللهُ عَنْ هَذَا الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقِيَ هَذَا الوَجْهَ مِنَ النَّارِ، فَافْعَلْ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِك، فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَنْ أَصْبَحَ لَهُم غَاشّاً، لَمْ يَرُحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ).

فَبَكَى هَارُوْنُ، وَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ دَيْنٌ؟.

قَالَ: نَعَمْ، دَيْنٌ لِرَبِّي، لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ، فَالوَيْلُ لِي إِنْ سَاءلَنِي، وَالوَيلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي، وَالوَيلُ لِي إِنْ لَمْ أُلْهَم حُجَّتِي.

قَالَ: إِنَّمَا أَعْنِي مِنْ دَينِ العِبَادِ.

قَالَ: إِنَّ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا، أَمَرَنِي أَنْ أَصْدُقَ وَعْدَهُ، وَأُطِيْعَ أَمْرَهُ، فَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦

فَقَالَ: هَذِهِ أَلفُ دِيْنَارٍ، خُذْهَا، فَأَنْفِقْهَا عَلَى عِيَالِكَ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ.

فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى طَرِيْقِ النَّجَاةِ، وَأَنْتَ تُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا، سَلَّمَكَ اللهُ، وَوَفَّقَكَ. ثُمَّ صَمَتَ، فَلَمْ يُكَلِّمْنَا.

فَخَرَجْنَا، فَقَالَ هَارُوْنُ: أَبَا عَبَّاسٍ! إِذَا دَلَلْتَنِي، فَدُلَّنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا، هَذَا سَيِّدُ المُسْلِمِيْنَ.

فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيْهِ مِنَ الضِّيقِ، فَلَو قَبِلْتَ هَذَا المَالَ.

قَالَ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُم، كَمَثَلِ قَوْمٍ لَهُم بَعِيْرٌ يَأْكُلُوْنَ مِنْ كَسْبِهِ، فَلَمَّا كَبِرَ نَحَرُوهُ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ هَارُوْنُ هَذَا الكَلاَمَ، قَالَ: نَدْخُلُ، فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ المَالَ.

فَلَمَّا عَلِمَ الفُضَيْلُ، خَرَجَ، فَجَلَسَ فِي السَّطحِ عَلَى بَابِ الغُرفَةِ، فَجَاءَ هَارُوْنُ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ، فَلاَ يُجِيْبُهُ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ، إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: يَا هَذَا! قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ، فَانْصَرِفْ، فَانْصَرَفْنَا.«السير(٨/ ٤٢٨-٤٣١)».

عفة معمر ب راشد أبو عروة الأزدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وَقَالَ يَعْقُوْبُ بنُ شَيْبَةَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ العَبَّاسِ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ:

سَمِعْتُ أَنَّهُ كَانَ زَوْجُ أُخْتِ امْرَأَةِ مَعْمَرٍ مَعَ مَعْنِ بن زَائِدَةَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا أُخْتُهَا بِدَانجُوجَ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَعْمَرٌ بَعْد مَا أَكَلَ، فَقَامَ، فَتَقَيَّأَ.

أَحْمَدُ بنُ شَبَّوَيْه: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ:

أَكَلَ مَعْمَرٌ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَاكِهَةً، ثُمَّ سَأَلَ، فَقِيْلَ: هَدِيَّةٌ مِنْ فُلاَنَةٍ النَّوَّاحَةِ. فَقَامَ، فَتَقَيَّأَ.

وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعْنٌ - وَالِي اليَمَنِ - بِذَهَبٍ، فَرَدَّهُ، وَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنْ عَلِمَ بِهَذَا غَيْرُنَا، لَمْ يَجْتَمِعْ رَأْسِي وَرَأْسُكِ أَبَداً. «السير(٧/ ١١)».

عفة الحافظ ابن عساكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال أبو المواهب- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: كنت أذاكر أبا القاسم الحافظ عن الحفاظ الذين لقيهم فقال: أما بغداد فأبو عامر العبدري، وأما أصبهان فأبو نصر اليونارتي، لكن إسماعيل بن محمد الحافظ كان أشهر. فقلت: فعلى هذا ما كان رأى سيدنا مثل نفسه؛ قال: لا تقل هذا، قال الله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢] ، قلت: فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١] ، فقال: لو قال قائل: إن عيني لم تر مثلي لصدق.

ثم قال أبو المواهب- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وأنا أقول: لم أر مثله ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سُنَنَّة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة

وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وأباها بعد أن عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم.«تذكرة الحفاظ(٤/ ٨٥)».

عفة أبو موسى المدني الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الحافظ الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

قال الدبيثي: عاش أبو موسى حتى صار أوحد وقته وشيخ زمانه إسنادًا وحفظًا. قال السمعاني: سمعت منه وكتب عني، وهو ثقة صدوق. وقال عبد القادر: حصل من المسموعات بأصبهان ما لم يحصل لأحد في زمانه وانضم إلى ذلك الحفظ والإتقان، وله التصانيف التي أربى فيها على المتقدمين مع الثقة والعفة له شيء يسير يترقح به وينفق منه ولا يقبل من أحد شيئًا قط، أوصى إليه غير واحد بمال فرده ويقال له: فرقه على من ترى، فيمتنع. وكان فيه من التواضع بحيث إنه يقرئ الصغير والكبير ويرشد المبتدئ، رأيته يحفظ الصبيان القرآن في الألواح، وكان يمنع من يمشي معه فعلت ذلك مرة معه فزبرني، وترددت إليه نحوًا من سُنَّة ونصف فما رأيت منه ولا سمعت عنه سقطة تعاب عليه، وكان أبو مسعود كوتاه يقول: أبو موسى كنز مخفي.«تذكرة الحفاظ(٤/ ٨٧)».

عفة أبو عبد الله محمد بن الحسين الزاغولي الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الحافظ الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

قال أبو سعد: كان صالحًا خشن العيش قانعًا باليسير عارفًا بالحديث وطرقه اشتغل بطلبه وجمعه طول عمره وجمع وصنف، وكان عارفًا باللغة

كتب الكثير ورحل إلى هراة وسمعت منه وبقراءته وجمع كتابًا كبيرًا أكثر من أربعمائة مجلد يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة سماه «قيد الأوابد». «ذكرة الحفاظ(٤/ ٨٩)» .

عفة الشيخ مقبل الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

وقد عرفنا طلاب الشيخ مقبل الوادعي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – يذكرون عنه أنه عرضت عليه وزارات ومناصب من قبل الدولة في بلاد اليمن فرفضها رفضاً قاطعاً وقال كلمته المشهورة التي يرددها طلبته حفظهم الله رئاستكم لا تسوي عندي بصلة وقال: درسي مع إخواني أحب إلى من رئاسة الجمهورية. فرحمه الله وقد هبت عليه الدول بالأموال تريد شراءه فرفضها، وكذلك الجمعيات الحزبية فرفضها لا لأنها تساعد طلاب العلم أو تقف مع أهل الخير ولكن لأنها لا تعطي إلا وتأخذ أعظم مما تعطي.

وقد فتنت المؤسسات الخيرية والجمعيات الحزبية كثيراً من طلاب العلامة الوادعي وصاروا على غير المنهج السلفي فغيروا كثيراً من أصول السلف وأفسدوا في بلاد المسلمين مالله به عليم بل أصبحوا خوارج عياذاً بالله وعادوا دعوة الشيخ مقبل –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– والسائرين عليها، وحاربوهم من جميع الإتجاهات المالية الإجتماعية والإعلامية والسياسية وطعنوا فيهم ،وأذوهم مالم يؤذهم أهل البدع المنحرفون، فيالله العجب من الدنيا إذا فتحت على أصحاب الطمع والهلع، ماذا تعمل بهم وكيف تفسدهم وتقلبهم من دعاة خير وبر وزهد وعلم وصلاح إلى وحوش وكلاب ودواب، اللهم اعصمنا يارب.

وقد أتته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدنيا بعد ضيق العيش وقلة ذات اليد فقد كان يعمل بيده ويقتات رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أيام الطلب ثم خرج إلى بلده في ضيق من العيش وتوافد عليه

الطلاب من سائر العالم من أكثر من مائة وخمسين دولة ففتح الله عليه بسداد العيش له ولطلابه ، فلما مات أوصى بجميع ما يملك للدعوة وللطلاب بيوته وسياراته وكل شيء ، فرحمه الله وجمعنا به في دار كرامته.

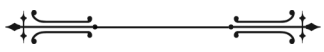

المبحث الثامن عشر

أيها العلماء والدعاة أصلحوا دنياكم ولا تذلوا أنفسكم

عن عَمْرَو بْنَ الْعَاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتِيه، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمُكَ اللَّهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً**» ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَقَالَ: «**يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**». «قال العلامة الألباني صحيح(٢٩٩)، المشكاة(٣٧٥٦)».

قال عبد الله بن المبارك: وَعَنْهُ، قَالَ: لاَ يَقَعُ مَوقِعَ الكَسْبِ عَلَى العِيَالِ شَيْءٌ، وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ الله. «السير(٨/ ٣٩٩) ».

قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس. « الحلية (٢/ ١٧٣)».

وذكر ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - كلاماً نافعاً عذباً أنقله لجودته قال: ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس؛ فإنها إذا ضم إلى العلم، حيز الكمال.

وإن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب، فاحتاجوا إلى ما لا بد منه، وقل الصبر، فدخلوا مداخل شانتهم، وإن تأولوا فيها، إلا أن غيرها كان أحسن لهم! فالزهري مع عبد الملك، وأبو عبيد مع طاهر بن الحسين، وابن

أبي الدنيا مؤدب المعتضد، وابن قتيبة صدر كتابه بمدح الوزير «ابن خاقان».

وما زال خلف من العلماء والزهاد يعيشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم، وهؤلاء وإن كانوا سلكوا طريقًا من التأويل؛ فإنهم فقدوا من قلوبهم وكمال دينهم أكثر مما نالوا من الدنيا.

وقد رأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاة لأجل نيل ما في أيديهم، فمنهم: من يداهن ويرائي، ومنهم: من يمدح بما لا يجوز، ومنهم: من يسكت عن منكرات، إلى غير ذلك من المداهنات، وسببها الفقر، فعلمنا أن كمال العز، وبعد الرياء، إنما يكون في البعد عن العمال الظلمة.

ولم نر من صح له هذا إلا في أحد رجلين:

أما من كان له مال: كسعيد بن المسيب، كان يتجر في الزيت وغيره، وسفيان الثوري، كانت له بضائع، وابن المبارك.

وأما من كان شديد الصبر، قنوعًا بما رزق، وإن لم يكفه، كبشر الحافي، وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجد الإنسان كصبر هذين، ولا كمال أولئك؛ فالظاهر تقلبه في المحن والآفات، وربما تلف دينه.

فعليك -ياطالب العلم- بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس؛ فإنه يجمع لك دينك! فما رأينا في الأغلب منافقًا في التدين والتزهد والتخشع ولا آفة طرأت على عالم، إلا بحب الدنيا، وغالب ذلك الفقر. فإن كان من له مال يكفيه، ثم يطلب بتلك المخالطة الزيادة، فذلك معدود في أهل الشره، خارج عن حيز العلماء، نعوذ بالله من تلك الأحوال. «صيد الخاطر(١٧٥-١٧٦)».

وقد سبقت الإشارة إلى شيء من مواقف السلف رحمهم الله تعالى في عزتهم وعدم ذلتهم للسلاطين وصبرهم على الفقر إن كانوا فقراء، أو العمل في أعمال

الدنيا إن كانوا في حاجة إلى ذلك، فهذا كان كاتباً وهذا كان ناسخاً وهذا كان تاجراً وهذا كان مزارعاً وهذا كان له دكاناً وهذا كان سماناً وهذا يبيع الزيت وهذا القماش وهذا يصله بعض العلماء بصله ويعينه وهكذا كانوا أعزة لم يضعوا أنفسهم في مواضع لا تحمد عقباها ولم يبيعوا دينهم ولم يذلوا أنفسهم وهناك نماذج كثيرة جداً.

فهشام الدستوائي: كان يبيع الثياب المجلوبة من دستواء؛ إحدى كور الأهواز ولذلك يقال له: صاحب الدستوائي. «تذكرة الحفاظ(١/ ١٢٤)» .

والفضيل بن عياض – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: كان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك. «السير(٨/ ٤٤٢)» .

وأبو حنيفة – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: كان كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب. «تذكرة الحفاظ(١/ ١٢٧)» كان خزازا يبيع الخز ودكانه معروف في دار عمرو ابن حريث. «السير(٦/ ٣٩٤)».

والسيرافي العلامة، إمام النحو، أبو سعيد، الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، صاحب التصانيف، ونحوي بغداد. ان أبو سعيد صاحب فنون، من أعيان الحنفية، رأسا في نحو البصريين، تصدر لاقراء القراءات، واللغة، والفقه، والفرائض، والعربية، والعروض.

وقرأ القرآن على ابن مجاهد، وأخذ اللغة، عن ابن دريد، والنحو عن أبي بكر ابن السراج.

وكان دينا متورعا، لا يأكل إلَّا من كسب يده.

وولي القضاء ببعض بغداد، وكان ينسخ كل يوم كراسًا أجرته عشرة دراهم لحسن خطه.«السير(١٦/ ٢٤٧)» .

وقال ابن الجوزي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: يقول: ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم ، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا مالو حصل لي ندمت عليه ، ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم ، ومانلته من معرفة العلوم لايقوم. فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك ؟ ! فقلت له :أيها الجاهل ، تقطيع الأيدي لاوقع له-أي لايذكر وليس بشيء-عند رؤية (يوسف)، وماطالت طريق أدت إلى صديق.

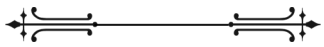

المبحث التاسع عشر

نصائح ومواعظ ورقائق في التحذير من هذا

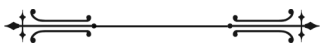

قال ابن المبارك – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

خُذْ مِنَ الجَارُوْشِ وَالـ ... آرُزِّ وَالخُبْزِ الشَّعِيْرِ
وَاجْعَلَنْ ذَاكَ حَلاَلاً ... تَنْجُ مِنْ حَرِّ السَّعِيْرِ
وَإِذا مَا اسْطَعْتَ هَدَا ... كَ اللهُ عَنْ دَارِ الأَمِيْرِ
لاَ تَزُرْهَا وَاجْتَنِبْهَا ... إِنَّهَا شَرُّ مَزُورِ
تُوهِنُ الدِّيْنَ وَتُدْ ... نِيْكَ مِنَ الحُوبِ الكَبِيْرِ
قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ يَا ... مَغْرُوْرُ فِي حُفْرَةِ بِيْرِ
وَارْضَ يَا وَيْحَكَ! مِنْ ... دُنْيَاكَ بِالقُوتِ اليَسِيْرِ
إِنَّهَا دَارُ بَلاَءٍ ... وَزَوَالٍ وَغُرُوْرِ
مَا تَرَى قَدْ صَرَعَتْ ... قَبْلَكَ أَصْحَابَ القُصُوْرِ؟
كَمْ بِبَطْنِ الأَرْضِ مِنْ ... ثَاوٍ شَرِيْفٍ وَوَزِيْرِ؟
وَصَغِيْرِ الشَّأْنِ عَبْدٍ ... خَامِلِ الذِّكرِ حَقِيْرِ؟
لَوْ تَصَفَّحتَ وُجُو ... هَ القَوْمِ فِي يَوْمٍ نَضِيْرِ
لَمْ تُمَيِّزْهُم، وَلَم ... تَعْرِفْ غَنِيّاً مِنْ فَقِيْرِ

خَمَـــدُوا فَـالـقَـوْمُ صَرْعَـــى ... تَحْـــتَ أَشـقَـاقِ الـصُّـخُـورِ
وَاسْـــتَـــوَوْا عِـنْـدَ مَـلِـيـكٍ ... بِـــمَـــسَـــاوِيهِـــم خَـــبِـــيْرِ
احْـــــذَرِ الـــصَّـرْعَـــةَ يَـا ... مِـسْـكِـيْنُ مِـــنْ دَهْـــرٍ عَـثُـورِ
أَيْـــــنَ فِـــرْعَـــوْنُ وَهَـــا ... مَـــانُ وَنُـــمْـــرُودُ الـنُّـسُـورِ؟
أَوَ مَـــا تَخْـــشَـــاهُ أَنْ ... يَـرْمِـيـكَ بِـالمَـوْتِ المُـبِـيْرِ؟
أَوَ مَـــا تَحْـــــذَرُ مِـــنْ ... يَـــوْمٍ عَـبُـوْسٍ قَـمْـطَـرِيْـرِ؟
اقْـمَـطَـرَّ الـــشرُّ فِـيْـهِ ... بِـــعَـــذَابِ الـــزَّمْـــهَـرِيْـرِ

يقول الفضيل بن عياض – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: إِنَّمَا هُمَا عَالِمَان، فَعَالِمُ الدُّنْيَا: عِلْمُهُ مَنْشُوْرٌ، وَعَالِمُ الآخِرَةِ: عِلْمُهُ مَسْتُورٌ، احْذَرُوا عَالِمَ الدُّنْيَا، لَا يَضُرُّكُم بِسُكْرِهِ، العُلَمَاءُ كَثِيْرٌ، وَالحُكَمَاءُ قَلِيْلٌ. «السير(٨/ ٤٣٤)».

قال علي بن أبي طالب – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ –: من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات. «موسوعة ابن أبي الدنيا(١/ ٩٢)».

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: قال: قلت لأبي حازم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – يومًا: إني لأجد شيئًا يحزنني. قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي الدنيا. فقال لي: اعلم يا ابن أخي، إن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حببه الله تعالى إلي؛ لأن الله – عزَّ وجلَّ – قد حبب هذه الدنيا إلينا. ولكن لتكن معاتبتا أنفسنا في غير هذا، أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئًا من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئًا من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها. «الحلية (١/ ٥٢٧)».

وقال أبو واقد الليثي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: تابعنا الأعمال ولم نجد شيئا أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا. «موسوعة ابن أبي الدنيا(١/ ٨٩)».

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهم كانوا أفضل منكم. قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة منكم. «موسوعة ابن أبي الدنيا(٥/ ٩٦)، صفة الصفوة(١/ ١٩٢)».

وقال أيضًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: من أراد الآخرة أَضَرَّ بالدُّنيا، ومن أَراد الدنيا أَضرَّ بالآخرة، يا قوم فأَضِرُّوا بالفاني للباقي. «السير (١/ ١٩٧)».

وعن النضر بن إسماعيل، عن أشياخه، أنهم دخلوا على عبد الله بن عتبة - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - فأرم طويلاً قال: تحبون أن أكتب لكم الخير كله في ظفري؟ قالوا: نعم. فقال لهم: الزهد في الدنيا. «الزهد لابن أبي الدنيا(١/ ٩٠)».

وقال محمد بن الحنفية - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -:من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قَدْر. «صفة الصفوة(٢/ ٤٣٥)».

وقال رجل لمحمد بن واسع - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -: أوصني. قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة. قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا. «السير (٢/ ٦٣٨)».

وقال ابن السَّمَّاك - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -:الدُّنيا كلها قليلٌ، والذي بقي منها قليلٌ، والذي لكَ من الباقي قليلٌ، ولم يبقَ من قليلِك إلا قليل، وقد أصبحتَ في دار العزاء، وغدًا تصير إلى دار الجـزاء، فاشترِ نَفسك لعلَّك تنجو. «السير(٢/ ٧٦٢)».

وعن الفضيل بن عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -:حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ

حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. «السير (٢/ ٧٦٢)».

وعن سفيان الثوري – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: قال: إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها. «الحلية (٢/ ٣٧٢)».

قال ابن رجب – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: اعلم أنّ الذمّ الوارد في الكتاب والسنّة للدنيا ليس هو رجعًا إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى جعلهما خِلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا.

وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادًا ومسكنًا ، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أ، بته فيها من الزرع والشجر ، ولا إلى ما بثّ فيها من الحيوانات وغير ذلك ، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع ، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ، وإنما الذمّ راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا ، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته ، بل يقع على ما تضرّ عاقبته ، أو لا تنفع كما قال – عَزَّوَجَلَّ –: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾ [الحديد: ٢٠]. «جامع العلوم والحكم(٣٩٢،٣٩٣)»

قال الإمام الشوكاني – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

فيا من أَخذ الله عَلَيْهِ الْبَيَان وَعلمه السّنة وَالْقُرْآن إِذا تجزئت على رَبك بترك طاعاته وَطرح مَا أَمرك بِهِ فقف عِنْد هَذِه الْمعْصِيَة وَكفى بهَا وَقس مَا عَلمته كَالْعدمِ لَا عَلَيْك وَلَا لَك وَدع الْمُجَاورَة لهَذِهِ الْمعْصِيَة إِلَى مَا هُوَ أَشد مِنْهَا وأقبح

من ترويج بدع المبتدعين والتحسين لَهَا وإيهامهم أَنهم على الْحق .

فَإِنَّك إِذا فعلت ذَلك كَانَ علمك لَا علمت بلَاء على أهل تِلْكَ الْبدع بعد كَونه بلَاءَ عَلَيْك لأَنهم يَفْعَلُونَ تِلْكَ الْبدع على بَصِيرَة ويتشددون فِيهَا وَلَا تنجع فيهم بعد ذَلك من موعظة واعظ وَلَا نصيحة نَاصح وَلَا إرشاد مرشد لاعتقادهم فِيك لَا كثر الله فِي أهل الْعلم من أمثالك فَإِنَّك عَالم مُحَقّق متقن قد عرفت عُلُوم الْكتاب وَالسّنَة فَلم يكن فِي عُلَمَاء السوء شَرّ مِنْك وَلَا أَشد ضَرَرا على عباد الله. «أدب الطلب(٦٤)» .

قال بعضهم:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما

كباني بني بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقال بعضهم:

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلك ثم آذن بالزوال

المبحث العشرون

الإنفاق على العلماء أمر مطلوب

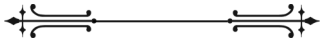

أبو عبد الله البخاري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ: كَانَتْ لَهُ قِطْعَةُ أَرْضٍ يَكْرِيهَا كُلَّ سَنَةٍ بِسَبْعِ مائَةِ دِرْهَم.

فَكَانَ ذَلكَ المُكْتَري رُبَّمَا حمل مِنْهَا إِلَى أَبِي عَبْد الله قِثَّاةً أَوْ قِثَّاتَين، لأَنَّ أَبَا عَبْد الله كَانَ مُعْجَباً بالقِثَّاء النَّضيج، وَكَانَ يُؤْثِرُهُ عَلَى البطيخ أَحْيَاناً، فَكَانَ يَهَبُ لِلرَّجُلِ مائَةَ دِرْهَم كُلَّ سَنَةٍ لحَمله القِثَّاءَ إِلَيْه أَحْيَاناً.

قَالَ: وَسَمعْتُهُ يَقُوْلُ: كُنْتُ أَستَغِلُّ كُلَّ شَهْرٍ خَمْسَ مائَةِ دِرْهَمٍ، فَأَنفقْتُ كُلَّ ذَلِكَ فِي طَلَبِ العِلْم.

فَقُلْتُ: كم بَيْنَ مَنْ ينفقُ عَلَى هَذَا الوَجْه، وَبَيْنَ مَنْ كَانَ خِلْواً مِنَ المَالِ، فَجَمَعَ وَكسبَ بِالعِلْم، حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠].

قَالَ: وَكُنَّا بفرَبْر، وَكَانَ أَبُو عَبْد الله يبني رباطاً مِمَّا يلي بُخَارَى، فَاجْتَمَعَ بَشَرٌ كَثِيْرٌ يُعينونَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ ينقُلُ اللَّبِنَ، فَكُنْتُ أَقُوْلُ لَهُ: إِنَّكَ تُكْفَى يَا أَبَا عَبْدِ الله، فَيَقُوْلُ: هَذَا الَّذي يَنْفَعُنَا.

ثُمَّ أَخذَ ينقلُ الزَّنْبَرَات - الزنابيل - مَعَهُ، وَكَانَ ذَبَحَ لَهُم بَقَرَةً، فَلَمَّا أَدْرَكَت القدورُ، دَعَا النَّاسَ إِلَى الطَّعَام، وَكَانَ بِهَا مائَةُ نَفْسٍ أَوْ أَكْثَرُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِمَ أَنَّهُ

يجتمعُ مَا اجْتَمَعَ، وَكُنَّا أَخرجْنَا مَعَهُ مِنْ فِرَبْر خُبزاً بِثلاَثَة درَاهمَ أَوْ أَقَلَّ، فَألقينَا بَيْنَ أيديهم، فَأَكَلَ جَمِيْعُ مَنْ حضَرَ، وَفضلتْ أرغفَةٌ صَالِحَةٌ.

وَكَانَ الخبزُ إِذْ ذَاكَ خَمْسَةَ أَمْنَاء بِدِرْهَم.

قَالَ: وَكَانَ أَبُو عَبْد الله رُبَّمَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّهَارُ، فَلاَ يَأْكُلُ فِيْهِ رُقَاقَةً، إِنَّمَا كَانَ يَأْكُلُ أَحْيَاناً لوزتين أَوْ ثَلاَثاً.

وَكَانَ يجتنبُ توَابِلَ القُدور مِثْلَ الحمّص وَغَيْره، فَقَالَ لِي يَوْماً شبهَ المُتفرِّج بِصَاحِبِه: يَا أَبَا جَعْفَر، نَحْتَاجُ فِي السَّنَة إِلَى شَيْءٍ كَثِيْر.

قُلْتُ لَهُ: قَدْرُ كَمْ؟ .

قَالَ: أَحتَاجُ فِي السَّنَة إِلَى أَرْبَعَة آلاَف دِرْهَم، أَوْ خَمْسَة آلاَف دِرْهَم.

قَالَ: وَكَانَ يتصدَّقُ بالكَثِيْر، يَأْخُذُ بيَده صَاحبَ الحَاجَة مِنْ أَهْلِ الحَدِيْث، فيُنَاوِلُهُ مَا بَيْنَ العشْرِيْنَ إِلَى الثَّلاَثِيْنَ، وَأَقَلَّ وَأَكْثَرَ، مِنْ غَيْرِ أَن يَشْعُرَ بِذَلِكَ أَحَدٌ.

وَكَانَ لاَ يُفَارِقُهُ كِيْسُهُ.

وَرَأَيْتُهُ نَاولَ رَجُلاً مِرَاراً صُرَّةً فِيْهَا ثَلاَثُ مائَة دِرْهَم - وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ أَخْبَرَنِي بعَدَد مَا كَانَ فِيْهَا مِنْ بَعْدُ - فَأَرَادَ أَنْ يدعُوَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْد الله: ارفُقْ، وَاشتَغِلْ بِحَدِيْث آخرَ كيلاَ يعلمَ بِذَلِكَ أَحَدٌ.

قَالَ: وَكُنْتُ اشْتَرَيْتُ مَنْزِلاً بتسع مائَة وَعِشْرِيْنَ دِرْهَماً، فَقَالَ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ تَقْضِيهَا؟ .

قُلْتُ: نَعَمْ، وَنُعْمَى عين.

قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ تصيرَ إِلَى نُوْح بنِ أَبِي شدَّاد الصَّيْرَفِيِّ، وَتَأْخُذَ مِنْهُ أَلفَ دِرْهَم، وَتَحْمِلَهُ إِلَيَّ، ففَعَلتُ.

فَقَالَ لِي: خُذْهُ إِلَيْكَ، فَاصرِفْهُ فِي ثمنِ المَنْزِلِ.

فَقُلْتُ: قَدْ قَبِلْتُهُ مِنْكَ وَشكرتُهُ.

وَأَقبلنَا عَلَى الكِتَابَةِ، وَكُنَّا فِي تَصْنِيْفِ (الجَامع) .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ، قُلْتُ: عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ لاَ أَجْتَرِئُ رفعَهَا إِلَيْكَ، فَظنَّ أَنِّي طَمِعْتُ فِي الزِّيَادَةِ.

فَقَالَ: لاَ تحتشمْنِي، وَأَخْبِرْنِي بِمَا تَحْتَاجُ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُوْنَ مأخوذاً بِسببِكَ.

قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ؟

قَالَ: لأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آخَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

فذكرَ حَدِيْثَ سَعْدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ.

فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ جَعَلتُكَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيْعِ مَا تَقُوْلُ، وَوهبْتُ لَكَ المَالَ الَّذِي عرضتَهُ عليَّ، عَنَيْتُ المُنَاصفَةَ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: لِي جَوَارٍ وَامْرَأَةٌ، وَأَنْتَ عَزَبٌ، فَالَّذِي يَجِبُ عليَّ أَنْ أُنَاصِفَكَ لنستوي فِي المَالِ وَغَيْرِهِ، وَأَربحُ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ فعلْتَ - رَحِمَكَ اللهُ - أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِذْ أَنْزَلْتَنِي مِنْ نَفْسِكَ مَا لَمْ تُنْزِلْ أَحَداً، وَحللتُ مِنْكَ محلَّ الوَلَدِ، ثُمَّ حَفِظَ عليَّ حَدِيْثِي الأَوَّل، وَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ .

قُلْتُ: تَقْضِيهَا؟ .

قَالَ: نَعَمْ، وَأُسَرُّ بِذَلِكَ.

قُلْتُ: هَذِهِ الأَلفُ، تَأْمُرُ بِقَبُولِهِ، وَاصْرِفْهُ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَقَبِلَهُ،

وَذَلِكَ أَنَّهُ ضَمِنَ لِي قَضَاءَ حَاجَتِي.

ثُمَّ جلسْنَا بَعْدَ ذَلِكَ بيومَيْنِ لتَصْنِيف (الجَامع) ، وَكَتَبْنَا مِنْهُ ذَلِكَ اليَوْمَ شَيْئاً كَثِيْراً إِلَى الظُّهْرِ، ثُمَّ صَلَّينَا الظُّهرَ، وَأَقبلْنَا عَلَى الكِتَابَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نكُوْنَ أَكلْنَا شَيْئاً، فَرآني لَمَّا كَانَ قُرْبَ العصرِ شِبْهَ القَلِقِ المستوحشِ، فَتوهَّمَ فِيَّ ملاَلاً.

وَإِنَّمَا كَانَ بِيَ الحصرُ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكنْ أَقدرُ عَلَى القِيَامِ، وَكُنْتُ أَتَلَوَّى اهتماماً بِالحصرِ.

فَدَخلَ أَبُو عَبْدِ الله المَنْزِلَ، وَأَخْرَجَ إِلَيَّ كَاغدَةً فِيْهَا ثَلاَثُ مائَةِ درْهَم، وَقَالَ: أَمَا إِذْ لَمْ تقبلْ ثمنَ المَنْزِلِ، فَيَنْبَغِي أَنْ تصرِفَ هَذَا فِي بَعْضِ حَوَائِجِكَ.

فجهَدَني، فَلَمْ أَقبلْ.

ثُمَّ كَانَ بَعْدَ أَيَّام، كتبنَا إِلَى الظُّهرِ أَيْضاً، فَنَاوَلَنِي عِشْرِيْنَ درْهَماً.

فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ تصرِفَ هَذِهِ فِي شرَاءِ الخُضرِ وَنحوِ ذَلِكَ.

فَاشْتَرَيْتُ بِهَا مَا كُنْتُ أَعلَمُ أَنَّهُ يلاَئِمُهُ، وَبعثْتُ بِهِ إِلَيْهِ، وَأَتيتُ.

فَقَالَ لِي: بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ، لَيْسَ فيكَ حِيْلَةٌ، فَلاَ يَنْبَغِي لَنَا أَن نُعَنِّي أَنْفُسَنَا.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ قَدْ جمعتَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَأَيُّ رَجُلٍ يَبَرُّ خَادِمَهُ بِمثلِ مَا تَبَرُّنِي، إِنْ كُنْتُ لاَ أَعرِفُ هَذَا؛ فلَسْتُ أَعرِفُ أَكْثَرَ مِنْهُ.«سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٩)».

عبد الله بن المبارك وإنفاقه على إخوانه العلماء -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-:

عَبْدُ الله بنُ المُبَارَك بن وَاضح الحَنْظَلِيُّ الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَم، عَالِمُ زَمَانِه، وَأَمِيْرُ الأَتْقِيَاء فِي وَقْتِه السَّخِيُّ الْجَوَّادُ ، الْمُمَهَّدُ لِلْمَعَاد ، الْمُتَزَوِّدُ مِنَ الْوِدَادِ ، أَلِيفُ الْقُرْآنِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، جَادَ فَسَادَ ، وَرُوجِعَ فَزَادَ ، مَالُهُ مُشَارِكٌ ،

وَفِعْلُهُ مُبَارَكٌ. وَأَخَذَ عَنْ بقَايَا التَّابِعِيْنَ، وَأَكْثَرَ مِنَ التَّرْحَالِ وَالتَّطْوَافِ، وَإِلَى أَنْ مَاتَ فِي طَلَبِ العِلْمِ، وَفِي الغَزْوِ، وَفِي التِّجَارَةِ، وَالإِنفَاقِ عَلَى الإِخْوَانِ فِي اللهِ، وَتَجهِيزِهِم مَعَهُ إِلَى الحَجِّ.«السير(٨/ ٣٧٩)» .

كَانَ ابْنُ المُبَارَكِ إِذَا كَانَ وَقْتُ الحجِّ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ إِخْوَانُهُ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ، فَيَقُوْلُوْنَ: نَصْحَبُكَ.

فَيَقُوْلُ: هَاتُوا نَفَقَاتِكُم.

فَيَأْخُذُ نَفَقَاتِهم، فَيَجْعَلُهَا فِي صُنْدُوْقٍ، وَيُقْفِلُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَكتَرِي لَهُم، وَيُخْرِجُهُم مِنْ مَرْوَ إِلَى بَغْدَادَ، فَلاَ يَزَالُ يُنفِقُ عَلَيْهِم، وَيُطعِمُهُم أَطْيَبَ الطَّعَامِ، وَأَطْيَبَ الحَلوَى، ثُمَّ يُخْرِجُهُم مِنْ بَغْدَادَ بِأَحْسَنِ زِيٍّ، وَأَكمَلِ مُرُوءةٍ، حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مَدِيْنَةِ الرَّسُوْلِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَقُوْلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ: مَا أَمَرَكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشتَرِيَ لَهُم مِنَ المَدِيْنَةِ مِنْ طُرَفِهَا؟ .

فَيَقُوْلُ: كَذَا وَكَذَا. ثُمَّ يُخْرِجُهُم إِلَى مَكَّةَ، فَإِذَا قَضَوْا حَجَّهُم، قَالَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم: مَا أَمَرَكَ عِيَالُكَ أَنْ تَشتَرِيَ لَهُم مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ؟ .

فَيَقُوْلُ: كَذَا وَكَذَا.

فَيَشْتَرِي لَهُم، ثُمَّ يُخْرِجُهُم مِنْ مَكَّةَ، فَلاَ يَزَالُ يُنْفِقُ عَلَيْهِم إِلَى أَنْ يَصِيْرُوا إِلَى مَرْوَ، فَيُجَصِّصُ بُيُوْتَهُم وَأَبْوَابَهُم، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، عَمِلَ لَهُم وَلِيمَةً وَكَسَاهُم، فَإِذَا أَكَلُوا وَسُرُّوا، دَعَا بِالصُّنْدُوقِ، فَفَتَحَهُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُم صُرَّتَهُ عَلَيْهَا اسْمُهُ.

قَالَ أَبِي: أَخْبَرَنِي خَادِمُهُ أَنَّهُ عَمِلَ آخِرَ سَفْرَةٍ سَافَرَهَا دَعْوَةً، فَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ خَمْسَةً وَعِشْرِيْنَ خِوَاناً فَالُوْذَجَ، فَبَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ لِلْفُضَيْلِ: لَوْلاَكَ وَأَصْحَابَكَ مَا اتَّجَرْتُ.

وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى الفُقَرَاءِ،فِي كُلِّ سَنَةٍ مائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.«السير (٨/ ٣٥٦-٣٥٨)».

عُوتِبَ ابْنُ المُبَارَكِ فِيمَا يُفَرِّقُ مِنَ المَالِ فِي البُلْدَانِ دُوْنَ بَلَده، قَالَ: إِنِّيْ أَعْرِفُ مَكَانَ قَوْمٍ لَهُم فَضْلٌ وَصِدْقٌ، طَلَبُوا الحَدِيْثَ، فَأَحْسَنُوا طَلَبَهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِم، احْتَاجُوا، فَإِنْ تَرَكْنَاهُم، ضَاعَ عِلْمُهُم، وَإِنْ أَعَنَّاهُم، بَثُّوا العِلْمَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ العِلْمِ. «السير(٨/ ٣٨٧)».

وَقَالَ المُسَيَّبُ بنُ وَاضِح: أَرْسَلَ ابْنُ المُبَارَكِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بن عَيَّاش أَرْبَعَةَ آلاَف دِرْهَم، فَقَالَ: سُدَّ بِهَا فَتْنَةَ القَوْمِ عَنْكَ. قَالَ عَلِيُّ بنُ خَشْرَمَ: قُلْتُ لِعِيْسَى بنِ يُوْنُسَ: كَيْفَ فَضَّلَكُمُ ابْنُ المُبَارَكِ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَسَنَّ مِنْكُم؟.

قَالَ: كَانَ يَقْدَمُ، وَمَعَهُ الغِلْمَةُ الخُرَاسَانِيَّةُ، وَالبِزَّةُ الحَسَنَةُ، فَيَصِلُ العُلَمَاءَ، وَيُعْطِيْهِم، وَكُنَّا لاَ نَقدِرُ عَلَى هَذَا. «السير(٨/ ٤١٠)».

عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، قال: لَوْ جَهِدْتُ جَهْدِي أَنْ أَكُونَ فِي السَّنَةِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ عَلَى مَا عَلَيْهِ ابْنُ المُبَارَكِ لَمْ أَقْدِر.«حلية الأولياء(٨/ ١٦٣)».

قال الذهبي – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى – في ترجمة الفضيل:

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك.«السير(٨/ ٤٤٢)».

أبو حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- وإنفاقه على المحدثين:

عن الْحسن بن الرّبيع قَالَ كَانَ قيس بن الرّبيع يحدثني عَن أبي حنيفَة انه كَانَ يبْعَث بالبضائع إِلَى بَغْدَاد فيشتري بهَا الأمْتعَة ويحملها إِلَى الْكُوفَة وَيجمع الأرباح عِنْده من سُنَّة إِلَى سُنَّة فيشتري بهَا حوائج اشياخ الْمُحدثين وأقواتهم

وكسوتهم وَجَمِيع حوائجهم ثمَّ يدْفع بَاقِي الدَّنَانِير والأرباح إِلَيْهِم ثمَّ يَقُول أَنْفقُوا فِي حَوَائِجكُمْ وَلَا تحمدوا إِلَّا الله فَإِنِّي مَا أُعْطِيكُم من مَالِي وَلَكِن من فضل الله عَليّ فِيكُم وَهَذِه أرباح بضائعكم فانه هُوَ وَالله مَا يجريه الله لكم على يَدي فَمَا فِي رزق الله حق لغيره.

عَن إِسْمَاعِيل بن حَمَّاد بن أبي حنيفَة ان ابا حنيفَة حِين حذق حَمَّاد ابْنه سُورَة الْحَمد وهب للمعلم خَمْسمِائَة دِرْهَم.

عَن الْحسن بن زِيَاد قَالَ رأى أَبُو حنيفَة على بعض جُلَسَائِهِ ثيابًا رثَّة فَأمره فَجَلَسَ حَتَّى تفرق النَّاس وَبَقِي وَحده فَقَالَ لَهُ ارْفَعْ الْمصلى وَخذ مَا تَحْتَهُ فَرفع الرجل الْمصلى فَكَانَ تَحْتَهُ ألف دِرْهَم فَقَالَ لَهُ خُذ هَذِه الدَّرَاهِم فَغير بهَا حالك قَالَ الرجل إِنِّي مُوسر وَأَنا فِي نعْمَة وَلست أحتاج إِلَيْهَا فَقَالَ لَهُ مَا بلغك الْحَدِيث إِن الله يحب ان يرى أثر النِّعْمَة على عَبده فَيَنْبَغِي لَك ان تغير حالك حَتَّى لَا يغتم بك صديقك بشر بن الْوَلِيد، قَالَ سَمِعت أَبَا يُوسُف يَقُول كَانَ أَبُو حنيفَة شَدِيد الْبر بكُل من عرفه وَكَانَ يهب للرجل الْخمسين دِينَارا أَو أَكثر فَإِذا شكره بحَضْرَة قوم غمه ذَلِك وَقَالَ تشكر لي وَإِنَّمَا بهو رزق سَاقه الله إِلَيْك قَالَ رَسُول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا أوتيكم شَيْئا وَلَا امنعكموه وَإِنَّمَا أَنا خَازِن أَضَع حَيْثُ أمرت.

كَانَ مسعر يَقُول كَانَ ابو حنيفَة إِذا اشْترى لعِيَالِهِ شَيْئا انفق على شُيُوخ الْعلمَاء مثل مَا أنْفق على عِيَاله، وَإِذا اكتسى ثوبًا فعل مثل ذَلِك، وَإِذا جَاءَت الْفَاكِهَة وَالرّطب وكل شَيْء يُرِيد أَن يَشْتَرِيه لنَفسه ولعياله لَا يفعل ذَلِك حَتَّى يَشْتَرِي لشيوخ الْعلمَاء مثله، ثمَّ يَشْتَرِي بعد ذَلِك لعِيَالِهِ، وَكَانَ إِذا اشْترى للصدقة أَو لبر إخوانه شَيْئا أجود مَا يقدر عَلَيْهِ وَكَانَ يتساهل فِيمَا يَشْتَرِيه لنَفسه ولعياله. «اخبار أبي حنيفة وأصحابه(٥٧-٥٩)».

قال شمس الدين الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

كان إمامًا ورعًا عالمًا عاملًا متعبدًا كبير الشأن، لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب.«تذكرة الحفاظ(١/ ١٢٧)» .

ربيعة الرأي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

وعن ابن وهب – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –: أن ربيعة كان من الأجواد أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار. قال أحمد بن حنبل: ربيعة ثقة. «تذكرة الحفاظ(١/ ١١٨)».

ابن أبي ذهل وإنفاقه على إخوانه العلماء - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ -:

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد العُصْمِيُّ الإمَامُ، الحَافِظُ، الأَنْبَلُ، رَئِيْسُ خُرَاسَانَ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي العَبَّاسِ مُحَمَّدِ بنِ العَبَّاسِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُصْمِ بنِ أَبِي ذُهْلٍ العُصْمِيُّ. الضَّبِّيُّ الهَرَوِيُّ.

وَكَانَ إِمَاماً نَبِيْلاً، وَصَدْراً مُعَظَّماً، كَثِيْرَ الأَمْوَالِ وَالبَذْلِ للمُحَدِّثِيْنَ وَالأَخيَارَ.

قَالَ الحَاكِمُ: صَحبتُهُ حَضَراً وَسَفَراً، فَمَا رَأَيْتُ أَحسنَ وضُوءاً وَلاَ صَلاَةً مِنْهُ، وَلاَ رَأَيْتُ فِي مشَايخِنَا أَحسنَ تَضَرُّعاً وَابتهَالاً مِنْهُ.

قيلَ لِي: إِنَّ عُشْرَ غَلَّتِه تبلغُ أَلفَ حِمْلٍ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ الكَاتِبُ أَنَّ النُّسْخَةَ بِأَسَامِي مَنْ يَمُونُهُم تزيدُ عَلَى خَمْسَةِ آلاَفِ بَيْتٍ، وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ وَلاَيَاتٌ جَلِيْلَةٌ، فَأَبَى.«السير(١٦/ ٣٨١)».

اللَّيْثُ بنُ سَعْدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الفَهْمِيُّ وإنفاقه على العلماء - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ -:

هو الإِمَامُ، الحَافِظُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، وَعَالِمُ الدِّيَارِ السَّرِيُّ السَّخِيُّ ،المِلِّيُّ الْوَفِيُّ، لَعَلمَهُ عَقُولْ ، وَلِمَالِه بَذُولْ ، أَبُو الْحَارِثِ اَللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ. كَانَ يَعْلَمُ الأَحْكَامَ مَلِيًّا ، وَيَبْذُلُ الأَمْوَالَ سَخِيًّا.

مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بن عِيَاض المُفْرضُ: سَمِعْتُ حَرْمَلَةَ يَقُوْلُ: كَانَ اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ يَصِلُ مَالِكاً بِمائَةِ دِيْنَارٍ فِي السَّنَةِ، فَكَتَبَ مَالِكٌ إِلَيْهِ: عَلَيَّ دَيْنٌ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسِ مائَةِ دِيْنَار، فَسَمِعْتُ ابْنَ وَهْب يَقُوْلُ: كَتَبَ مَالِكٌ إِلَى اللَّيْث: إِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أُدخِلَ بِنْتِي عَلَى زَوْجِهَا، فَأُحِبُّ أَنْ تَبْعَثَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ عُصْفُرٍ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِثَلاَثِيْنَ حِمْلاً عُصْفُراً، فَبَاعَ مِنْهُ بِخَمْسِ مائَةِ دِيْنَارٍ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قَالَ قُتَيْبَةُ: كَانَ اللَّيْثُ يَسْتَغِلُّ عِشْرِيْنَ أَلْفَ دِيْنَار فِي كُلِّ سَنَة، وَقَالَ: مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةٌ قَطُّ. وَأَعْطَى اللَّيْثُ ابْنَ لَهِيْعَةَ أَلْفَ دِيْنَار، وَأَعْطَى مَالِكاً أَلْفَ دِيْنَار، وَأَعْطَى مَنْصُوْرَ بنَ عَمَّارٍ الوَاعِظَ أَلْفَ دِيْنَارٍ، وَجَارِيَةً تَسْوَى ثَلاَثَ مائَةِ دِيْنَار.

قَالَ: وَجَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى اللَّيْثِ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الحَارِثِ، إِنَّ ابْناً لِي عَلِيْلٌ، وَاشْتَهَى عَسَلاً.

فَقَالَ: يَا غُلاَمُ، أَعْطِهَا مِرْطاً مِنْ عَسَلٍ.

وَالمِرْطُ: عِشْرُوْنَ وَمائَةُ رَطْلٍ.

قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بنُ شُعَيْبِ بنِ اللَّيْثِ بنِ سَعْدٍ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ:

مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةٌ مُنْذُ بَلَغْتُ.

وَقَالَ أَبُو صَالِح: سَأَلَتِ امْرَأَةُ اللَّيْثَ مَنّاً مِنْ عَسَلٍ، فَأَمَرَ لَهَا بِزِقٍّ، وَقَالَ: سَأَلَتْ عَلَى قَدَرِهَا، وَأَعْطَيْنَاهَا عَلَى قَدَرِ السَّعَةِ عَلَيْنَا.

قَالَ يَعْقُوْبُ بنُ شَيْبَةَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ

إِسْحَاقَ السَّيْلَحِيْنِيَّ، قَالَ: جَاءت امْرَأَةٌ بِسُكُرَّجَة إِلَى اللَّيْث تَطلُبُ عَسَلاً، فَأَمَرَ مَنْ يَحمِلُ مَعَهَا زِقّاً، فَجَعَلت تَأْبَى، وَجَعَلَ اللَّيْثُ يَأْبَى إِلاَّ أَنْ يُحْمَلَ مَعَهَا مِنْ عَسَلٍ، وَقَالَ: نُعطِيْكِ عَلَى قَدرِنَا.

أَحْمَدُ بنُ عُثْمَانَ النَّسَائِيُّ: سَمِعْتُ قُتَيْبَةَ، سَمِعْتُ شُعَيْبَ بنَ اللَّيْث يَقُوْلُ:

خَرَجْتُ حَاجّاً مَعَ أَبِي، فَقَدِمَ المَدِيْنَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَالِكُ بنُ أَنَس بِطَبَقِ رُطَبٍ.

قَالَ: فَجَعَلَ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِيْنَار، وَرَدَّهُ إِلَيْهِ.وَلَمَّا احْتَرَقَتْ كُتُبُ ابْنِ لَهِيْعَةَ، بَعَثَ إِلَيْهِ اللَّيْثُ مِنَ الغَدِ بِأَلْفِ دِيْنَارٍ. وَقَدِمَ مَنْصُوْرُ بنُ عَمَّارٍ عَلَى اللَّيْثِ، فَوَصَلَهُ بِأَلْف دِيْنَارٍ.

وَاحْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ لَهِيْعَةَ، فَوَصَلَهُ بِأَلْفِ دِيْنَارٍ، وَوَصَلَ مَالِكاً بِأَلْفِ دِيْنَارٍ، وَكَسَانِي قَمِيْصَ سُنْدُسٍ، فَهُوَ عِنْدِي.

عن سَعِيْدٌ الآدَم، قَالَ: مَرَرتُ باللَّيْث بنِ سَعْدٍ، فَتَنَحْنَحَ لِي، فَرَجَعتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: يَا سَعِيْدُ، خُذْ هَذَا القُنْدَاقَ -أي: صحيفة الحساب- ، فَاكْتُبْ لِي فِيْهِ مَنْ يَلْزَمُ المَسْجِدَ، مِمَّنْ لاَ بِضَاعَةَ لَهُ وَلاَ غَلَّةَ.

فَقُلْتُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْراً يَا أَبَا الحَارِث.

وَأَخَذْتُ مِنْهُ القُنْدَاقَ، ثُمَّ صرتُ إِلَى المَنْزِل، فَلَمَّا صَلَّيْتُ، أَوْقَدتُ السِّرَاجَ، وَكَتَبتُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم، ثُمَّ قُلْتُ: فُلاَنُ بنُ فُلاَنٍ.

ثُمَّ بَدَرَتْنِي نَفْسِي، فَقُلْتُ: فُلاَنُ بنُ فُلاَنٍ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ، إِذْ أَتَانِي آت، فَقَالَ: هَا اللهِ يَا سَعِيْدُ، تَأْتِي إِلَى قَوْمٍ عَامَلُوا اللهَ سرّاً، فَتَكْشِفُهُم لآدَمِيٍّ؟! مَاتَ اللَّيْثُ، وَمَاتَ شُعَيْبٌ، أَلَيْسَ مَرجِعُهُم إِلَى اللهِ الَّذِي عَامَلُوْهُ؟ .

فَقُمْتُ وَلَمْ أَكْتُبْ شَيْئاً، فَلَمَّا أَصْبَحتُ، أَتَيْتُ اللَّيْثَ، فتَهَلَّلَ وَجْهُهُ، فنَاوَلْتُهُ القُنْدَاقَ، فَنَشَرَهُ، فَمَا رَأَى فِيْهِ غَيْرَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، فَقَالَ: مَا الخَبَرُ؟

فَأَخْبَرْتُهُ بصدق عَمَّا كَانَ، فَصَاحَ صَيْحَةً، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الحِلَقِ، فَسَأَلُوْهُ، فَقَالَ: لَيْسَ إِلاَّ خَيْرٌ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا سَعِيْدُ، تَبَيَّنْتَهَا وَحُرِمْتَهَا، صَدَقتَ، مَاتَ اللَّيْثُ أَلَيْسَ مَرجِعُهُم إِلَى اللهِ. «السير(٨/ ١٤٨-١٥٠)».

أبو العلاء الهمذاني وإنفاقه على طلابه -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-:

قال الحافظ الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

كان مهينًا للمال باع جميع ما ورثه وكان من أبناء التجار فأنفقه في طلب العلم حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشيًا يحمل كتبه على ظهره.

سمعته يقول: كنت أبيت ببغداد في المساجد وآكل خبز الدخن. وسمعت أبا الفضل بن بنيان الأديب يقول: رأيت أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم؛ لأن السراج كان عاليًا، إلى أن قال: فعظم شأنه في القلوب حتى إن كان يمر في همذان فلا يبقى أحد رآه إلا قام ودعا له حتى الصبيان واليهود.

وربما كان يمضي إلى بلدة مشكان يصلي بها الجمعة فيتلقاه أهلها خارج البلد، المسلمون على حدة واليهود على حدة يدعون له إلى أن يدخل البلد، وكان يفتح عليه من الدنيا جمل فلم يدخرها بل ينفقها على تلامذته وكان عليه رسوم لأقوام وما كان يبرح عليه ألف دينار همذانية أو أكثر من الدين مع كثرة ما كان يفتح عليه.

وكان يطلب لأصحابه من الناس ويعز أصحابه ومن يلوذ به ولا يحضر دعوة حتى يحضر جماعة أصحابه، وكان لا يأكل من أموال الظلمة ولا يقبل منهم مدرسة قط ولا رباطًا وإنما كان يقرئ في داره ونحن في مسجده سكان، وكان يقرئ نصف نهاره الحديث ونصفه القرآن والعلم، وكان لا يغشى السلاطين ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يمكن أحدًا يعمل في مجلس منكر ولا سماعًا فكان ينزل كل إنسان منزلته حتى تألفت القلوب على محبته وحسن الذكر له في الآفاق البعيدة حتى أهل خوارزم الذين هم معتزلة مع شدته في الحنبلية.

وكان حسن الصلاة ولم أر أحدًا من مشايخنا أحسن صلاة منه، وكان متشددًا في أمر الطهارة لا يدع أحدًا يمس مداسه، وكان ثيابه قصارًا وأكمامه قصارًا وعمامته نحو سبع أذرع، وكانت السُّنَّة شعاره ودثاره اعتقادًا وفعلًا بحيث إنه كان إذا دخل مجلسه رجل فقدم رجله اليسرى كلفه أن يرجع فيقدم اليمنى، لا يمس الأجزاء إلا على وضوء، ولا يدعو شيئًا قط إلا مستقبل القبلة تعظيمًا لها. «تذكرة الحفاظ وذيوله(٤/ ٨١)».

الطُّرطُوشيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وإنفاقه على إخوانه:

أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الوَلِيْدِ بن خَلَفٍ الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، القُدْوَةُ، الزَّاهِدُ، شَيْخُ المَالكيَّة، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الوَلِيْدِ بن خَلَفٍ بن سُلَيْمَانَ بن أَيُّوْبَ الفِهْرِيّ، الأَنْدَلُسِيّ، الطُّرْطُوشي، الفَقِيْه، عَالِمُ الإِسْكَنْدَرِيَّة.

قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال: كَانَ إِمَاماً عَالِماً، زَاهِداً وَرِعاً، ديناً مُتَوَاضِعاً، متقشِّفاً متقلِّلاً مِنَ الدُّنْيَا، رَاضياً بِاليسير، أَخْبَرَنَا عَنْهُ القَاضي أَبُو بَكْرِ بنُ العربي، وَوصفه بالعلْم، وَالفَضْل، وَالزُّهْد، وَالإِقبال عَلَى مَا يَعْنِيْه، قَالَ لِي: إِذَا عَرَضَ لَكَ أمرُ دُنْيَا وَأَمرُ آخِرَة، فَبَادِرْ بِأَمرِ الآخِرَة، يَحْصُلْ لَكَ أَمرُ الدُّنْيَا وَالأُخْرَى.

وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مَهْدِيٍّ بن قليُنَا: كَانَ شيخُنَا أَبُو بَكْرٍ زُهْدُهُ وَعبَادتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عِلْمه، وَحَكَى بَعْضُ العُلَمَاء أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الطُّرطُوشي أُنجبَ عَلَيْهِ نَحْوٌ مِنْ مائَتَيْ فَقِيْهٍ مُفْتِي، وَكَانَ يَأْتِي إِلَى الفُقَهَاء وَهُمٍ نِيَام، فَيَضَع فِي أَفوَاهِهِم الدَّنَانِيْر، فَيَهُبُّوْن، فيرونهَا فِي أَفوَاهِهِم. «السير(١٩/ ٤٩٠)».

دعلج وإنفاقه على العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-:

دَعْلَجُ بنُ أَحْمَدَ بن دَعْلَج بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ السِّجِسْتَانِيُّ المُحَدِّثُ، الحُجَّةُ، الفَقِيْهُ، الإِمَامُ، أَبُو مُحَمَّدٍ السِّجِسْتَانِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، التَّاجِرُ، ذُو الأَمْوَالِ العَظِيْمَة.

وَقَالَ الحَاكِمُ: دَعْلَجٌ الفَقِيْهُ شَيْخُ أَهْلِ الحَدِيْث فِي عَصْرِه، لَهُ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ عَلَى أَهْلِ الحَدِيْث بمَكَّةَ وَببَغْدَادَ وَسَجِسْتَانَ، أَوَّلُ ارْتِحَاله كَانَ إِلَى نَيْسَابُوْرَ فَأَخَذَ مُصَنَّفَاتِ ابْنِ خُزَيْمَةَ، وَكَانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِهِ، سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ ذَلِكَ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ مُدَّةً. «السير(١٦/ ٣٠)».

التيمي إسماعيل بن محمد الأصبهاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، الملقب بقوام السُّنَّة صاحب (الترغيب والترهيب):

قال الذهبي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

قال أبو موسى: ولا أعلم أحدًا عاب عليه قولا ولا فعلا ولا عانده أحد إلا ونصره الله، وكان نزه النفس عن المطامع لا يدخل على السلاطين ولا على من اتصل بهم، قد أخلى دارًا من ملكه لأهل العلم مع خفة ذات يده ولو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها لم يرتفع عنده. «تذكرة الحفاظ(٤/ ٥٠)».

ابن خزيمة محمد بن إسحاق إمام الأئمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال محمد بن الفضل: كان جدي لا يدخر شيئا جهده بل ينفقه على أهل

العلم، ولا يعرف الشح، ولا يميز بين العشرة والعشرين.«تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٠٨)».

كوتاه الحافظ الإمام المفيد أبو مسعود عبد الجليل بن محمد بن عبد الواحد الأصبهاني الملقب بكوتاه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال السمعاني- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:هو من أولاد المحدثين حسن السيرة مكرم للغرباء فقير قنوع صحب والدي مدة مقامه بأصبهان وسمع بقراءته الكثير، وله معرفة بالحديث وهو من مقدمي أصحاب شيخنا إسماعيل الحافظ حضرت مجلس أماليه، وسمعت أبا القاسم الحافظ بدمشق يثني عليه ثناء حسنًا ويفخم أمره ويصفه بالحفظ والإتقان. «تذكرة الحفاظ(٤/ ٧٤)».

الحافظ الكثير الصدق أبو الفضل الهمداني السمسار-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

عن حمد بن عمر الزجاج قال: لما أملى صالح بن أحمد الحافظ بهمذان كانت له رحى، فباعها بسبعمائة دينار ونثرها على محابر أصحابالحديث. «تذكرة الحفاظ (٣/ ١٢٨)».

أبن أبي ذهل أبو عبد الله محمد بن العباس بن أحمد الضبي الهروي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

قال الذهبي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: وكان صدرًا معظمًا كبير الشأن كثير الإفضال على المحدثين والأخيار كثير الأموال.

قيل لي: إن عشر غلته يبلغ ألف حمل، وقال: أبو أحمد الكاتب أن النسخة التي بأسامي من يمونهم أبو عبد الله بن أبي ذهل بهراة تزيد على خمسة آلاف بيت، وعرضت عليه ولايات جليلة فأبى. «تذكرة الحفاظ(٣/ ١٤١)».

المبحث الحادي والعشرون

أضرار القرب من الولاة

١ - ترك النصح خوف ذهاب الدنيا:

قال العلامة الشوكاني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

وَمن جملَة الْأَسْبَاب الَّتِي يتسبب عَنْهَا ترك الْإِنْصَاف ويصدر عَنْهَا الْبعد عَن الْحق وكتم الْحجَّة وَعدم مَا أوجبه الله من الْبَيَان حب الشّرف وَالْمَال اللَّذين هما أعدى على الْإِنْسَان من ذئبين ضاريين كَمَا وصف ذَلِك رَسُول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِن هَذَا هُوَ السَّبَب الَّذِي حرف بِهِ أهل الْكتاب كتب الله الْمنزلَة على رسله وكتموا مَا جَاءَهُم فِيهَا من الْبَينَات وَالْهدى كَمَا وَقع من أَحْبَار الْيَهُود وَقد أخبرنَا الله بذلك فِي كِتَابه الْعَزِيز وَأخْبرنَا بِهِ رَسُول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الثَّابت عَنهُ فِي الصَّحِيح .

وَبِهَذَا السَّبَب بقى من بقى على الْكفْر من الْعَرَب وَغَيرهم بعد قيام الْحجَّة عَلَيْهِم وَظُهُور الْحق لَهُم وَبِه نَافق من نَافق. «أدب الطلب(٥٤)».

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

وَمن شكّ فِي هَذَا فليخبرنا من ذَاك الَّذِي يَسْتَطِيع أَن يصْرخ بَين ظهراني دولة من تِلْكَ الدول بِمَا يُخَالف اعْتِقَاد أَهلهَا وتألفه عامتها وخاصتها وَوُقُوع مثل ذَلِك نَادرا إِنَّمَا يقوم بِهِ أَفْرَاد من مخلصي الْعلمَاء ومنصفيهم وَقَلِيل مَا هم فَإِنَّهُم لَا يوجدون إِلَّا على قلَّة وإعواز وهم حَملَة الْحجَّة على الْحَقِيقَة والقائمون

ببَيَان مَا أنزل الله والمترجمون للشريعة وهم الْعلمَاء حَقًا وَأما غَيرهم مِمَّن يعلم كَمَا يعلمُونَ وَلَا يتَكَلَّم كَمَا يَتَكَلَّمُونَ بل يكتم مَا أَخذ الله عَلَيْهِ بَيَانه وَيعْمل بِالْجَهْلِ مَعَ كَونه عَالما بِأَنَّهُ جهل وَيَقُول بالبدعة مَعَ اعْتِقَاده أَنَّهَا بدعَة فَهَذَا لَيْسَ بِأَهْل لَدُخُوله فِي مُسَمَّى الْعلم وَلَا يستأهل أَن يُوصف بوَصْف من أَوْصَافه أَو يَدْخل فِي عداد أَهله بل هُوَ متظهر وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته بِالْجَهْلِ والبدعة مُطَابقَة لأهل الْجَهْل والابتداع وتنفيفا لنَفسه عَلَيْهِم واستجلابا لقُلُوبهمْ ومداراة لَهُم حَتَّى يبْقى عَلَيْهِ جاهه وَيسْتَمر لَهُ رزقه الْجَارِي عَلَيْهِ من بَيت مَال الْمُسلمين أَو وقفهم أَو نَحْو ذَلِك .

فَهَذَا هُوَ من البائعين عرض الدّين بالدنيا المؤثرين العاجلة على الآجلة فضلا عَن أَن يسْتَحق الدُّخُول فِي أهل الْعلم والوصول إِلَيّ هَذَا الْعلم.

وَمن شكّ فِيمَا ذكرته أَو تردد فِي بعض مَا سقته فليمعن النّظر فِي أهل عصره هَل يَسْتَطِيع أحد من أهل الْعلم أَن يُخَالف مَا يهواه السُّلْطَان من الْمَذَاهب فضلا عَن أَن يُصَرح للنَّاس بِخلَافِهِ هَذَا على فرض أَن ذَلِك الَّذِي يهواه الْملك بدعَة من الْبدع الشنيعة الَّتِي لَا خلاف فِي شناعتها ومخالفتها للشريعة كَمَا تعتقده الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض فَإِن السّنة الصَّرِيحَة المتواترة الَّتِي لَا خلاف فِيهَا قد جَاءَت بقبح ذَلِك وذم فَاعله وضلاله فَانْظُر هداك الله وإياي من يتَكَلَّم من أهل الْعلم الساكنين فِي أَرض الْخَوَارِج كبلاد عمان وَنَحْوهَا بِمَا يُخَالف مَذْهَب الْخَوَارِج أَو يُنكر ذَلِك عَلَيْهِم أَو يرشد النَّاس إِلَى الْحق وَكَذَلِكَ من كَانَ سَاكنا من أهل الْعلم ببلاد الروافض كبلاد الْأَعَاجِم وَنَحْوهَا هَل تَجِد رجلا مِنْهُم يُخَالف مَا هم عَلَيْهِ من الرَّفْض فضلا عَن أَن يُنكره عَلَيْهِم.

بل قد تَجِد غَالب من فِي بِلَاد أهل الْبدع من الْعلمَاء الَّذين لَا تخفى عَلَيْهِم مناهج الْحق وطرائق الرشد يتظهرون للملوك والعامة بِمَا يُنَاسب مَا هم عَلَيْهِ

ويوهمونهم بأَنَّهُم يوافقونهم وَأَن تِلْكَ الْبِدْعَة الَّتِي هم عَلَيْهَا لَيست ببدعة بل هِيَ سُنَّة وَحقّ وَشَرِيعَة ويعملون كعملهم ويدخلون فِي ضلالهم فيكونون مِمَّن أَضلّهُ الله على علم. «أدب الطلب(٦٢-٦٣)».

٢- الكذب على الله ورسوله والإفتراء عليهما:

قال الإمام الشوكاني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

وَوَقع فِي الْإِسْلَام من أهل الْعلم بذلك السَّبَب عجائب مودعة بطُون كتب التَّارِيخ وَكم من عَال قد مَال إِلَى هوى ملك من الْمُلُوك فوافقه على مَا يُرِيد وَحسن لَهُ مَا يُخَالف الشَّرْع وَتظَهر لَهُ بِمَا ينْفق لَدَيْهِ من الْمَذَاهب ، بل قد وضع بعض الْمُحدثين للملوك أَحَادِيث عَن رَسُول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا وَقع من وهب بن وهب أَبُو البخترى مَعَ الرشيد وَوَقع من آخر فِي حَدِيث لَا سبق إِلَّا فِي خف أَو حافر أَو نصل فَزَاد فِي الحَدِيث أَو جنَاح مُوَافَقَة للْملك الَّذِي رَآهُ يَلْعَب بالحمام ويسابق بَينهَا.

وَوضع جمَاعَة مَنَاقِب لقوم وَآخَرُونَ مثالب لآخرين لَا حَامِل لَهُم على ذَلِك إِلَّا حب الدُّنْيَا والطمع فِي الحطام والتقرب إِلَى أهل الرِّئَاسَة بِمَا ينْفق لديهم وَيروج عَلَيْهِم نسْأَل الله الْهِدَايَة والحماية من الغواية. «أدب الطلب(٥٥-٥٦)».

٣- تقديم الدنيا على الدين:

قال الإمام ابن الجوزي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

فما رأينا في الأغلب منافقًا في التدين والتزهد والتخشع ولا آفة طرأت على عالم، إلا بحب الدنيا، وغالب ذلك الفقر. فإن كان من له مال يكفيه، ثم يطلب بتلك المخالطة الزيادة، فذلك معدود في أهل الشره، خارج عن حيز العلماء، نعوذ بالله من تلك الأحوال. «صيد الخاطر(ص١٧٥-١٧٦)».

قال الإمام الشوكاني – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَة من تَأْثِير الدُّنْيَا على الدّين والعاجلة على الآجلة وَهُوَ لَو أمعن نظره وتدبر مَا وَقع فِيهِ لعلم أَن ميله إِلَى هوى رجل أَو رجلَيْن أَو ثَلَاثَة أَو أَكثر مِمَّن يجاملهم فِي ذَلِك الْمجْلس ويكتم الْحق مُطَابقَة لَهُم ، واستجلابًا لمودتهم ، واستبقاء لما لَدَيهِم ، وفرارًا من نفورهم وَهُوَ من التَّقْصِير بجَانب الْحق والتعظيم لجَانب الْبَاطِل ، فلولا أَن هَؤُلَاء النَّفر لَدَيْهِ أعظم من الرب سُبْحَانَهُ لما مَال إِلَى هواهم ، وَترك مَا يعلم أَنه مُرَاد الله سُبْحَانَهُ ومطلبه من عباده.

وَكَفاك بِهَذِه الفاقرة الْعَظِيمَة والداهية الجسيمة فَإِن رجلا يكون عِنْده فَرد من أَفْرَاد عباد الله أعظم قدرا من الله سُبْحَانَهُ لَيْسَ بعد تجرئه على الله شئ أرشدنا الله إِلَى الْحق بحوله وَطوله. « أدب الطلب(ص٦٥)».

قال إبراهيم بن أدهم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاء بدنياه لما يتوقع

وقال بعضهم:

أَلا إنما الدنيا كجيْفَة مَيْتَةٍ وَطُلابُهَا مِثْلُ الكِلاب الهَوامِسِ
وَأَعظمُهَمْ ذَمًّا لَهَا وأشدُهُمْ بهَا شَغَفًا قَومٌ طِوالُ القلانُسِ

قال العلامة المناوي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –:

طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه لعلمه بأنه لا يصل إليه إلا ما قدر

له وأن تعبه في تحصيل غيره محال وضلال ومن ثم قيل لحكيم: من ذا الذي لا هم له قال: ليس في الدنيا إلا مهموم لكن أقلهم هما أفضلهم رضا وأقنعهم بما رزق والكفاف هو الوسط المحمود ومن ثم قيل: خير الأمور أوساطها فعند التمام يكون النقصان. «فيض القدير (٤/ ٢٧٩)».

٤- يورث ضعف الإيمان وقسوة القلب:

مخالطة أهل الدنيا والترف تضيق القلب وتفسده بلا ريب كيف وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]، وهذا كله من أعظم أسباب فساد القلب وضعف الإيمان.

المبحث الثاني والعشرون

منافع القرب من الولاة

فالعلماء ومخالطتهم للأمراء قائمة على النفع للأمة لا للضرر عليهم وعلى الأمة فالعلماء وقربهم من الملوك قائم على تعليمهم المصالح التي تفيد الأمه من كل النواحي وتبصيرهم بالمصالح والمفاسد ودلالتهم على الخير وتحذيرهم من الشر كما كان عليه السلف في مجالسة الولاة والدخول عليهم مع حفظ وصيانة وعدم نظر إلى مصالحة الوالي والقرب منه ومداهنته ولا نظر إلى مصلحة العالم الداخل على الوالي فإن هذا ليس عالم إلا لنفسه يريد مصالحه ومطالبه فلا ينظر إليه ولا يعد م العلماء بل هذا من الخيانة للوالي وللأمة عياذاً بالله.

فإذا وفق الله تعالى العالم بأن يكون مصلحاً باغيا للخير كاف عن الشر دلا على ما سواه مما يعود على الإسلام وأهله بالخير فنعم القرب من الوالي لمصلحة المسلمين مع احتساب الأجر من الله تعالى فهذا ممن نال الأجر الأوفر والحظ الأكثر فلله دره أن يسوس الأمير ويدفعه للخير ويحذره من الشر وهذا لا يوجد في بلاد المسلمين إلا نادراً مع فساد الحكام وفساد الداخلون عليهم ولا تجد داخلاً على حاكم إلا وهو يريد حظاً من الدنيا إلا ما رحم ربي عياذاً بالله.

وأعجبتني قصة لسالم بن عبد الله بن عمر قال الذهبي: عن عطاء بن السائب: دفع الحجاج رجلا إلى سالم بن عبد الله ليقتله، فقال للرجل: أمسلم أنت؟، قال: نعم: قال: فصليت اليوم الصبح؟، قال: نعم، فرد إلى الحجاج، فرمى بالسيف، وقال: ذكر أنه مسلم، وأنه صلى الصبح، وإن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:

« مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ».

فقال: لسنا نقتله على صلاة، ولكنه ممن أعان على قتل عثمان، فقال: ها هنا من هو أولى بعثمان مني، فبلغ ذلك ابن عمر فقال: مكيس مكيس. اهـ « سير النبلاء(٤/ ٤٦٦)».

قلت: هكذا يكون من خالط الولاة حافظ لدينة لا يبذله ولا يهينه ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأما أن تكون المخالطة كما يحصل في زماننا هذا زمن الخيانة والكذب والتدليس على الأمراء والتجار وأرباب الأموال وعلى الناس جميعاً فلا. بل هذا من أعظم الظلم والفساد في الأرض والأعظم والأشد والأدهى والأمر أن يستخدم العبد علمه وخطابته ووعظه في التقرب من أهل الأموال والتنزل لهم، والشحاته باسم الدعوة ،وباسم فعل الخير ،وكفالة أيتام، والقيام على طلاب، وعلى أمور مما يجعل العبد بما هو عليه من المكانة والرفعة في العلم في مقام الشحاتين ،الذين يتسولون ويبذلون وجوههم للناس للرحمة بهم وإعطائهم من المال، فلا مقارنة بين هذا وهذا ،فمن عرض علمة ودينه للتسول، فهو أشد قبحاً وفساداً في الأرض، لأن الأول عرض وجهه فأهان نفسه في الدنيا والأخرة، وهذا عرض وجهه ودينه وعلمه فأهان نفسه وأهان الدين وحملته، فما أكثر هؤلاء ، لا كثرهم الله ولا بارك فيمن هذا حاله ،وكفى الله المسلمين شرهم وفسادهم في الأرض،إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين.

فهرس

المقدمة ٥
المبحث الأول: الملوك غالباً على غير هدى -إلا من رحم الله- ٩
المبحث الثاني: الملوك من الأنبياء ١٢
المبحث الثالث: بطانة الملوك ١٣
المبحث الرابع: حكم العمل مع السلاطين ١٥
المبحث الخامس: تحذير النبي -ﷺ- وأهل العلم من الدخول على الملوك . ١٩
المبحث السادس: لا يدخل على الملوك إلا مفتون ٢٤
المبحث السابع: حكم طلب الإمارة والقضاء..... ٢٧
المبحث الثامن: حكم المال الذي يُؤخذ من الملوك ٣٠
المبحث التاسع: حكام آخر الزمان ٣٦
المبحث العاشر: أنواع الملوك ٣٧
المبحث الحادي عشر: بعض النماذج من مواقف السلف مع الملوك ٤٢
* عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- : ٤٢
* سعيد بن المسيب -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ٤٢
* الأعمش سليمان بن مهران -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ٤٣
* عبد الله بن إدريس -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ٤٣
* محمد بن رافع -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ٤٦
* الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ٤٧

* ميمون بن مهران-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥٠
* محمد بن إسماعيل البخاري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥١
* المُسَيَّبُ بنُ رَافِعٍ أَبُو العَلاَءِ الأَسَدِيُّ-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥١
* محمد بن عتاب الجذامي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥٣
* مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ الطَّبَرِيُّ-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥٥
* ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ أَحْمَد بن عَمْرِو أَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانِيّ-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥٦
* حماد بن سلمةً-رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : ٥٧

المبحث الثاني عشر : القضاة من الصحابة ٥٩
* فضالة بن عبيد-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٥٩
* **بلال**-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: ٦٠
* **النعمان. بن بشير**-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: ٦٠

المبحث الثالث عشر : ذكر بعض من طلب للقضاء فرفضه ٦١
* عبد الله بن عمر-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-: ٦١
* ابن المعلم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٢
* مكحول- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٢
* منصور بن المعتمر- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٢
* المسيب ابن رافع الفقيه الكبير أبو العلاء الاسدي الكاهلي كوفي ثبت: .. ٦٣
* أبو الشعثاء جابر بن يزيد الأزدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٣

المبحث الرابع عشر : نماذج من إصلاح العلماء معايشهم واستغنائهم عن الأمراء والسلاطين..... ٦٥
* قيس بن عاصم-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٥
* المُعَافَى بنُ عِمْرَانَ بنِ نُفَيْلِ بنِ جَابِرِ بنِ جَبَلَةَ الأَزْدِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٥

* عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ القَاسِمِ العُتَقِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٦
* يحيى بن يسعيد القطانَ- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٦
* سفيان الثوري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٦
* الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي النحوي البصري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٧
* ابن جرير الطبري- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٨
المبحث الخامس عشر: الدفاع عن العلماء الذين دخلوا على الملوك ٦٩
أولاً: من العلماء من دخل عليهم ثم ندم منهم: ٦٩
* عمرو بن ميمون -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٩
* عبد الحميد السكوني أبو حازم-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٩
* منصور بن المعتمر-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٦٩
ثانياً: منهم من دخل عليهم ناصحاً واعظاً: ٧٠
* محمد بن أبي ذئب-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٠
* مالك بن أنس-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧١
* سفيان بن عيينة أبو محمد الهلالي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧١
* ابْنُ السَّمَّاكِ أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ صَبِيْحٍ العِجْلِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٢
* سفيان بن سعيد الثوري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٢
* الفضيل بن عياض-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٣
ثالثاً: منهم من دخل عليهم شافعاً لغيره: ٧٣
* عطاء بن أبي رباح-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٣
رابعاً: منهم من دخل عليهم ولكنه لم يعمل لهم ولا طامعاً فيهم: .. ٧٤
* مِسْعَرُ بنُ كِدَام بن ظُهَيْر بن عُبَيْدَةَ الهِلَالِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٤
* عَبْدُ اللهِ بنُ عَوْنِ بن أَرْطَبَانَ المُزَنِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٥

خامساً: منهم من دخل عليهم منكراً لما هم عليه: ٧٥
* سُفْيَانُ بنُ سَعِيْدِ بن مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٥
* ابن السماك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٧٦
سادساً: منهم من دخل عليهم مضطراً لذلك مكرها عليه: ٧٧
* الحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنِ بن مُحَمَّدِ بن يُوْسُفَ الأُمَوِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٠
* أَبُو بَكر الدَّامغَاني الأَنْصَارِيّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٢
سابعاً: ومنهم عملَ لهم دونَ أجرة. ٨٣
* مسروق بن الأجدع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٣
* ابن أم شيبان الهاشمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٣
ثامناً: ومنهم من دخل عليهم طامعاً فيهم وأنكر عليهم العلماء: ... ٨٤
* أَزْهَرُ بنُ سَعْدٍ أَبُو بَكْرٍ البَاهِلِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٤
المبحث السادس عشر: رد العلماء على من دخل على الأمراء ٨٦
* الزهري محمد بن مسلم القرشي وأبو حازم.-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٦
* حماد بن سلمة وابن عليه -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- : ٨٦
* إسماعيل بن علية وعبد الله بن المبارك -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- : ٨٧
* ابن القاسم ورجل من العلماء -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٨
* وكيع ابن الجراح وحفص بن غياث -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٨٨
المبحث السابع عشر: نماذج من عفة العلماء عن أموال الأمراء..... ٩٠
* عفة طاووس بن كيسان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٠
* عفة القاسم بن محمد بن أبي بكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٢
* عفة سعيد بن المسيب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٢
* عفة حماد بن سلمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٢

* عفة أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٢
* عفة عِيْسَى بنُ يُوْنُسَ بن أَبِي إِسْحَاقَ عَمْرِو بن عَبْدِ اللهِ الهَمْدَانِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: . ٩٣
* عفة الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٣
* عفة معمر ب راشد أبو عروة الأزدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٨
* عفة الحافظ ابن عساكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٨
* عفة أبو موسى المدني الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٩
* عفة أبو عبد الله محمد بن الحسين الزاغولي الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ٩٩
* عفة الشيخ مقبل الوادعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١٠٠

المبحث الثامن عشر: أيها العلماء والدعاة أصلحوا دنياكم ولا تذلوا أنفسكم ١٠٢

المبحث التاسع عشر: نصائح ومواعظ ورقائق في التحذير من هذا ... ١٠٦

المبحث العشرون: الإنفاق على العلماء أمر مطلوب ١١١

* أبو عبد الله البخاري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١١١
* عبد الله بن المبارك وإنفاقه على إخوانه العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-: ١١٤
* أبو حنيفة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وإنفاقه على المحدثين: ١١٦
* ربيعة الرأي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١١٨
* ابن أبي ذهل وإنفاقه على إخوانه العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-: ١١٨
* اللَّيْثُ بنُ سَعْدِ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الفَهْمِيُّ وإنفاقه على العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-: ... ١١٨
* أبو العلاء الهمذاني وإنفاقه على طلابه -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-: ١٢١
* الطُّرْطُوشيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وإنفاقه على إخوانه: ١٢٢
* دعلج وإنفاقه على العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-: ١٢٣
* التيمي إسماعيل بن محمد الأصبهاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، الملقب بقوام السُّنَّة صاحب (الترغيب والترهيب): ١٢٣

* ابن خزيمة محمد بن إسحاق إمام الأئمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١٢٣
* كوتاه الحافظ الإمام المفيد أبو مسعود عبد الجليل بن محمد بن عبد الواحد الأصبهاني الملقب بكوتاه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١٢٤
* الحافظ الكثير الصدق أبو الفضل الهمداني السمسار-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١٢٤
* ابن أبي ذهل أبو عبد الله محمد بن العباس بن أحمد الضبي الهروي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ١٢٤
المبحث الحادي والعشرون: أضرار القرب من الولاة ١٢٥
١- ترك النصح خوف ذهاب الدنيا: ١٢٥
٢- الكذب على الله ورسوله والإفتراء عليهما: ١٢٧
٣- تقديم الدنيا على الدين: ١٢٧
٤- يورث ضعف الإيمان وقسوة القلب: ١٢٩
المبحث الثاني والعشرون : منافع القرب من الولاة ١٣٠
* الفهرس ١٣٣